جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

ميدان لغة وأدب عربي
فرع دراسات لغوية
تخصص:لسانيات عربية

رقم:ل.ع/05

إعداد الطالبتين:
سليمة الزهابري
نسرين ثليب

يوم: 26 /2022/06

أثر الحجاج في تنوع مشاهد القصص القرآني

لجنة المناقشة:

د.نبيل زياني	أ.د	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
د صلاح الدين ملاوي	أ.د	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
د.أبوبكر زروقي	أم أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

اهدي هذا العمل المتواضع

إلى:

- ❖والدي الذي لم يكمل المشوار معي –رحمة الله عليه–
- ❖و إلى أمي أطال الله في عمرها وحفظها الله
- ❖و إلى كل أفراد أسرتي
- ❖إلى كل الأصدقاء،ومن كانوا برفقتي ومصاحبتي أثناء دراستي في الجامعة
- ❖و إلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف في حياتي الدراسية.

ثليب نسرين

الإهـــــــــــــــداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى الأسرة المحبة

إلى زهرة الجنة"ليان روان حلوة"

والى كل من كان عونا لنا..

اهدي هذا العمل المتواضع

الزهابري سليمة

شكر وتقدير

أي أبواب الثناء سندخل

وأي العبارات سنكتب

كل الثناء والشكر

للفاضل الدكتور" صلاح الدين ملاوي "

الـــمقدمة

الحمد لله خلق الإنسان وعلمه البيان ومنَّ عليه بالعقل فجعله وسيلته في حجاجه، ثم الصلاة والسلام على أفضل الخلق وأفصحهم وأبلغهم حجة (محمد صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد:

فلقد اهتمت الدراسات العربية قديما وحديثا بدراسة النص القرآني في شتى ميادينه عقيدة وتشريعا ولغة؛ وذلك لما يتميز به من سمات تجعله محط اهتمام الباحثين ، ولا عجب في ذلك فهو كلام الله المعجز بلفظه ومعناه ورسالته الأخيرة إلى العالمين كافة في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك فهو خطاب عامّ وشامل يتميز بسمات لغوية عديدة ومنها الحجاج.

يعتبر الخطاب القرآني خطابا حجاجيا لكونه جاء ردا على خطابات تتبنى مناهج فاسدة، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في الإيمان بالله الواحد الأحد، وقد جاء القرآن مخاطبا للعقول والقلوب وفق منهاج تواصلي يخاطب ويحاور الآخر، متخذا الإقناع وسيلة لكسب الناس نحو الإسلام، فهو خطاب واصف يراعي مستويات المتلقين ودرجات إدراكهم و أوضاعهم الزمانية والمكانية، ويسعى إلى الإصلاح وتغيير الأحوال والأوضاع بلغة حية تصلح لكل الأزمنة والعصور، وهذا ما يؤكد أنها حقيقة حجاجية وليست أداة للتعبير فقط، ولاسيما لغة القصص القرآني التي تكتسي طابعا لغويا خاصا وفريدا وتنضوي تحتها أهم الجوانب والروابط الحجاجية .

وقد أخذ القصص القرآني مساحة كبيرة منه حيث تنوعت القصص والحوارات التي دارت بين الرسل و أقوامهم، ومنحت هذه الحوارات للسامع فرص التخيل والوقوف على تفاصيل هذه المشاهد القصصية دون الابتعاد عن مجريات الأحداث الواقعة في القصة وسحريتها السردية، وقد ورد التعريف بكل الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم في

شكل قصصي؛ مما نتج عنه تعدد في هذه المشاهد ، نسعى من خلال بحثنا إلى تتبع أثر الحجاج فيها تحت عنوان: "أثر الحجاج في

تنوع مشاهد القصص القرآني"،آمّين معرفة كيفية توظيف النص القرآني للحجاج في محاورة الأنبياء مع أقوامهم؟، وقد تولدت عن هذا الغرض تساؤلات أهمها :

ما هي الأساليب الحجاجية التي اتخذها الأنبياء في حجاجهم مع أقوامهم ؟هل اختلاف الحجج وتنوعها جعل من مشاهد القصص القرآني تتنوع وينماز بعضها عن بعض؟، وهل اختلاف مستويات التلقي تؤثر في اختلاف الحجج ؟

والذي دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو تظافر جملة من الأسباب تتراوح بين الذاتية والموضوعية، وتتمثل الأسباب الذاتية في ارتباط موضوع البحث بالقرآن الكريم وبذلك قد يكون عملا تربويا وتهذيبا للنفس نرجو به نيل الأجر والثواب من الله (عزوجل)؛وأما الأسباب الموضوعية، فتتمثل في وجود علاقة بين الخطاب القرآني والخطاب الحجاجي؛ إذ كلاهما يؤثر في المتلقي وهذا ما دفعنا للغوص في آيات القران الكريم ومحاولة البحث عن فعالية الحجاج في تعدد الخطابات القرآنية وتنوعها ،وهي الغاية التي ننشدها من هذا البحث فالخطاب القرآني خطاب له آلياته الخاصة به لكونه خطابا إلهيا،والحجاج وجه من وجوه الإعجاز فيه.

وقد توسلنا في البحث المنهج الوصفي الملائم لطبيعة الدراسة التي تقتضي والوصف والتحليل وقد استعنا أيضا بالمنهج المقارن .

قسمنا بحثنا إلى: مقدمة وثلاثة فصول تناولنا فيها ثلاث آليات حجاجية، فكان الفصل الأول بعنوان: "الحجاج بالاستدراج" خصصنا المبحث الأول منه لمفهوم الاستدراج،

والثاني لمرادفات الاستدراج وبلاغته. وأما الثالث لدراسة فاعلية آلية الاستدراج بالحجاج في تنوع مشاهد القصص القرآني؛ واتخذنا من قصص إبراهيم عليه السلام أنموذجا. أما الفصل الثاني الموسوم ب: "الحجاج بالمناظرة"فخصص مبحثه الأول لمفهوم المناظرة والعلاقة بينها وبين الحوار والجدل، وتطرقنا فيه أيضا لأركان المناظرة وشروطها وفوائدها. وعقد مبحثه الثاني لنشأة المناظرة وتطورها

وأهميتها،وجعل ثالثها لدراسة فاعلية آلية الحجاج بالمناظرة في تعدد القصص القرآني،وأما الفصل الثالث فعنوانه: "الحجاج بالتمثيل" وفيه مبحثان ؛تناولنا في أولهما مفهوم التمثيل والعلاقة بينه وبين التشبيه والتصوير، كما أشرنا إلى حجاجيته وأهميته، وتطرقنا في ثانيهما للتمثيل اعتباره آلية حجاجية في تعدد القصص القرآني، درسنا فيه نماذج من قصص المرسلين عليهم السلام،وقد ذيلنا البحث بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج والملاحظات .

ومن أهم المصادر و المراجع التي كانت منهلا اعتمدنا عليه في هذا البحث : القرآن الكريم ثم كتب التفاسير و من بينها : التفسير الكبير للفخر الرازي ، الكشاف للزمخشري ،والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، وكتب المعاجم ك: مقاييس اللغة لابن فارس ولسان العرب لابن منظور، وكتب تناولت موضوع الحجاج مثل : الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة ، في أصول الحوار وتجديد الكلام لطه عبد الرحمن ، كتاب ضوابط المعرفة في أصول الاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن حنبكة. ومع ذلك فقد واجهنا صعوبات في هذا البحث ومن أهمها : اتساع المادة العلمية وصعوبة ضبطها والتطبيق عليها وتداخل مصطلحات التفسير ، وكذا التخوف من الوقوع في الخطأ أو الانحراف والتأويل خاصة وأن التطبيق كان على كلام الله عز وجل،ثم صعوبة اقتناء المراجع الخارجية وغالبا ما تتطلب مبالغ مالية .

وفي الأخير نرجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت ولو جزءا يسيرا في بيان وإظهار فاعلية الحجاج في تنوع مشاهد القصص القرآني، والتي تدعو إلى التفكر في حكمة الله تعالى وفي قوة الإعجاز القرآني . وما توفيقنا إلا بالله، عله توكلنا، وإليه ننيب .

الفصل الأول : الحجاج بالاستدراج

1. المبحث الأول :في مفهوم الاستدراج
2. المبحث الثاني:الاستدراج ومرادفاته
3. المبحث الثالث:أثر الاستدراج في تنوع مشاهد القصص القرآني"قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجا

المبحث الأول : في مفهوم الاستدراج :

العملية الخطابية الحجاجية تبنى على دعوى معينة هي مدار خلاف بين طرفين فالمتكلم ينقل مفاهيمه ومداركه مدعوما بالأدلة إلى المستمع قاصدا إقناعه والتأثير على سلوكه .

وإذا ما نظرنا إلى القصص القرآني رأينا غلبة الحوار الاعتراضي، الذي غرضه رد الاعتراضات بأدلة عقلية مقبولة وبأساليب مختلفة، والاستدراج أكثرها، وهو من أهم المفاهيم التي أسهمت في بناء القصة القرآنية ؛لأجل ذلك وجب بسط مفهومه.

1. لغة :

إذا ما بحثنا عن المعنى المعجمي للفظة (الاستدراج) في اللغة فإننا سوف نجدها تحت مادة (درج) إذ يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) في كتاب العين:"الدَّرَجة في الرفعة والمنزلة وتجمع الدّرج ودرجات الجنان: منازل ارفع من منازل، والصبي ودرج يدرج درجا ودرجانا وكل برج من بروج السماء ثلاثون درجة والمدرجة : ممر الأشياء على مسلك الطريق ونحوه."[1] عند التأمل في مقولة الخليل نجد أن الدرجة تعني المنزلة؛ وأن هذه المنزلة متفاوتة في الرفعة، موضحا أن مشي الصبي يسمى درجا ودرجانا؛ لأنه يمشي عبر مراحل، وكذلك المدرجة؛ وهي المسلك لأن الناس يمشون عليها الآخر تلو الآخر، والدرج يعني الانتقال من مرحلة إلى أخرى .

ويرى الجوهري(ت393) أن الاستدراج جاء من (درج) حيث يقول :"درج الرجل والضب يدرج دروجا ودرجانا،أي يمشي ودرج، أي مضى لسبيله، يقال درج القوم،إذا

1الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، ط 2 ، 1409 ه.،ج6/77-78(مادة درج).

انقرضوا،والاندراج مثله،ودرجه إلى كذا واستدرجه بمعنى أي أدناه على التدريج فتدرج هو،والدَّروج:الريح السريعة

المرّ؛يقال ريح دروج. وقدح دروج."[1] وبذلك نرى أن الجوهري لم يخرج عن رأي الخليل؛ لكنه ذكر لفظة (الاستدراج) وعرض بأنها تدل على الاستقطاب وهو المعنى القريب من الاصطلاح .

وذكر ابن منظور(ت711ه) أيضا لفظة الاستدراج في معجمه إذ يقول :"ودرجه إلى كذا واستدرجه، بمعنى أي أدناه منه على التدريج ، فتدرج هو ، وفي التنزيل:{سنستدرجهم من حيث لا يعلمون}[2] قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم،وقيل:معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأنسون به فلا يذكرون الموت، فيأخذهم على غرتهم أغفل ما كانوا"[3]

ومنه يتضح أن ماهية الاستدراج هي الأخذ مرحلة على مرحلة وليس دفعة واحدة،حتى يصل المستدرِج إلى مراده من المستدرَج ،ويتبين من أقوال علماء المعجم العربي أن لفظ (الاستدراج) جاء بمعنى القرب والدنو والاستقطاب.

وقد ورد الاستدراج في القرآن الكريم مرتين، حيث ورد بصيغة صرفية واحدة وهي صيغة الفعل المضارع ، مبدوءة بسين الاستقبال (سنستدرجهم) والهاء مفعوله.[4] ومما يلاحظ في هذه الصيغة القرآنية تناسبها واتفاقها مع مدلول الاستدراج ومعناه، وطول فترة نطقها

1أبو نصر إسماعيل الجوهري،الصحاح،تح:محمد محمد تامر،دار الحديث،القاهرة،(د.ت)،1430-2009،ص366.

2 سورة الأعراف/ 182

3محمد بن مكرم علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،لسان العرب،تح:عبد الله الكبير وآخرون،دار المعارف كورنيش النيل-القاهرة،(د.ت)ن،م1352/2.

4 ينظر: عبد الله جلغوم ، المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم،مركز تفسير الدراسات القرآنية،ط1436،1ه_2005م،ج1، ص 500

لوجود السكون في السين والدال،كل ذلك يتناسب مع معنى الاستدراج وهو الإمهال والإنظار للكافرين، ويوحي"بطول المدة، مدة عدم انصياعهم،وخصوصا في صيغة (استفعل) ففيها تصيير لهم، وحركة

جعلية متمهلة، وهذا ما يتضح من خلال توالي المقاطع وتعددها ؛مما يجسم طول فترة الغفلة التي يكون فيها الكافرون."[1]

2. اصطلاحا:

تجدر الإشارة إلى أن الاستدراج يندرج تحته مفهومان:

ينطلق المفهوم الأول من قوله تعالى:{ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون }[2]، ويُقصد به إملاء النعم من الله تعالى على العبد كي يستدنيه إلى العذاب شيئا فشيئا، وهذا النمط من الاستدراج هو الذي ذكر في النص القرآني، وأول من أشار إلى هذا المفهوم هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إذ يقول :" إذا رأيت الله معطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون}[3] "[4] فنجد دلالة الاستدراج في مقولة النبي (صلى الله عليه وسلم) تعني الاستمالة للولوج إلى عالم العذاب .

1 احمد ياسوف ،جمالية المفردة القرآنية،دار المكتبي،دمشق–سوريا،ط1419،2ه–1999م، ص185

2سورة الأعراف/ 182 , سورة القلم /44

3 سورة الأنعام/ 44

4ابن حنبل الإمام أحمد (ت241هـ) : المسند, دار صادر–بيروت_لبنان,د.ت145/4

وعرفه الجرجاني بقوله :"الاستدراج هو أن تكون بعيدا من رحمة الله تعالى، وقريبا من العذاب تدريجيا،وأن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى أقصى عمره؛ للإبتدال بالبلاء والعذاب، وقيل الإهانة بالنظر إلى المآل والدنو إلى عذاب الله بالإمهال قليلا قليلا."[1] ولم

يبتعد أبو البقاء الكفوي عما ذكره الجرجاني إذ يقول:"الاستدراج هو أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ،ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعدا عن الله تعالى"[2]. ويبدو مما

سبق أن المفهوم الشائع للاستدراج هو ما ذكر في الآيات الكريمات في سورة الأعراف والقلم، وما جاء في قوله (صلى الله عليه وسلم) وهو إدناء العبد من العذاب من قبل الله تعالى تدريجيا؛ من خلال توالي العطاء الإلهي للعبد رغم استمراره .

أما المفهوم الآخر فقليلة هي المصادر التي تناولته بوصفه مصطلحا بلاغيا، حيث لا يقتصر في معنى استدراج الله للعبد لاستحقاقه العذاب، بل يتعدى ذلك ؛لأن الاستدراج ذكر في القرآن في مواقف أخرى وفي قضايا أخرى غير مقتصرة على موضوع العذاب فقط، حيث إنه يشكل ظاهرة أسلوبية في التعبير القرآني. ومن المصادر التي أشارت لهذا المصطلح بوصفه مصطلحا بلاغيا "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"لمحمد التهانوي (ت158هـ) حيث قال:"وعند أهل المعاني هو الكلام المشتمل على إسماع الحق، على وجه لا يورث غضب المخاطب،سواء كان في تعريض أم لا ، ويسمى المنصف من الكلام نحو قوله تعالى:{ومالي لا أعبد الذي فطرني } أي مالكم أيها الكفرة لا تعبدون الذي خلقكم

5-الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات،تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)، ص 20

2 أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي،الكليات،تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة– بيروت،(د.ط)،1419هـ–1998م ص113

بدليل قوله : {وإليه ترجعون} ففيه تعريض لهم بأنهم على الباطل ، ولم يصرح بذلك لئلا يزد غضبهم حيث يريد المتكلم لهم ما يريده لنفسه ..." [1]

أما عند حازم القرطاجني(ت1284ه)، فالاستدراجات"تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالة المخاطب واستلطافه له بتزكيته أو تقريظه أو إبطائه إياه لنفسه، وإخراجه على خصمه حتى يصير كلامه مقبولا عند الحكم ، وكلام خصمه غير مقبول."[2] وأما الاستدراج عند ابن الأثير (ت637هـ) فيقول عنه:"وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى، وهي مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال والكلام فيه وإن تضمن بلاغة، فليس الغرض هاهنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان

والتسليم، وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، والمعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب به، فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده، فليس بكاتب ولا شبيه له إلا صاحب الجدل، فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية."[3] والظاهر من كلام ابن الأثير أنه أول من تنبه إلى هذا النمط من الاستدراج، والمفهوم من تعريفه أن الاستدراج ملكة كلامية بليغة، يوظفها المخاطب في

1محمد علي التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،تح: علي دحروج ،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ،ط1، 1996،ج1/ 149,150

2حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء , تح: محمد الحبيب بن الخوجة ،دار الغرب الإسلامي , بيروت،(د.ط)،1986 ، ص64

3ضياء الدين بن الأثير ابن ابي حديد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح أحمد الحوفي ،بدوي طبانة،دار نهضة مصر، القاهرة ،ط2،(د.ت) ،ص 250–251.

كلامه للتأثير في المتلقي وجلبه إلى أمر يريده المتكلم ، أي أن الاستدراج ظاهرة أسلوبية ووسيلة إقناعية ، والقرآن الكريم معجز بكلامه فلابد أن يكون مكتنز على أسلوب الاستدراج؛ لأنه خطاب مؤسس على توصيل العقيدة إلى المتلقي ، والاستدراج المتضمن في النص القرآني في قوله تعالى:(سنستدرجهم) هو استدراج فعلي عملي لا كلامي، إلا أن الذي يعنيه ابن الأثير هو الاستدراج الكلامي القائم على الإقناع .

لكن عبد الله صولة يرى أن ابن الأثير يدعي بأنه أول من استخرج أسلوب الاستدراج من القرآن الكريم لأن "الزمخشري وقد عاش قبله بقرن كامل استخدم مصطلح الاستدراج عند تفسيره للآية نفسها وهي (40/28 سورة غافر) التي استشهد بها ابن الأثير"[1]، ويرى صولة بأن نظرية ابن الأثير صاغها على الأرجح انطلاقا من تفسير الزمخشري في تفسيره لإحدى آيات سورة غافر وأورد كلامه بحذافيره[2] .

ومن خلال الموازنة بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي يتضح جليا أن بينهما علاقة دلالية تتلخص في التدرج، درجة بعد درجة سواء كان التدرج مرادا به العذاب الإلهي أم إقناع متلق بالحقائق والغايات التي يتضمنها النص القرآني.

المبحث الثاني : الاستدراج مرادفاته وبلاغته :

1 مرادفات الاستدراج :

كثير من البلاغيين والمفسرين جعلوا للاستدراج مرادفات أخرى ، جعلت منه مصطلحا عامًّا وشاملا وواضحا .

1عبد الله صولة،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفارابي،بيروت–لبنان،ط2 ،2007،ص 57
2نفسه، ص 58

يرى علي بن سلطان صاحب "مرقاة المفاتيح"(ت1014 ه) أن الاستدراج من أساليب المخاصمة والمجادلة؛ فهو يستخدم للذود عن دين الله.حيث يقول: "وهو بمعنى التعريض؛ لأنه نوع من الكناية ، ونوع من التعريض يسمى الاستدراج، وهو إرخاء العنان مع الخصم في المجاراة ليعثر حيث يريد تبكيته، فسلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع القوم هذا المنهج ،وذلك عندما طلبوا منه عليه السلام أن يخرج معهم إلى عيدهم ، فأراد أن يتخلف عنهم للأمر الذي هم به ، فنظر نظرة في النجوم فقال: إني سقيم ، وفيه إيهام منه أنه استدل بأمارة علم النجوم على أنه سيسقم ليتركوه فيفعل بالأصنام ما أراد أن يفعل."[1]

جعل صاحب "المرقاة" مصطلح التعريض رديفا للاستدراج، وقد ورد في استعمالات بعض البلاغيين والمفسرين وهو:" الإتيان بكلام مشار به إلى جانب هو مطلوب ، وإيهام أن الغرض جانب آخر، وسمي تعريضا لما فيه من الميل عن المطلوب إلى عُرض – بالضم– ، أي جانب" [2].

والواضح من هذا التعريف أن التعريض يندرج في مضمون الاستدراج ودلالته وغايته وذلك لما فيه من لطف واستمالة للوصول إلى الغاية من الكلام

أما الشهاب الخفاجي(ت1659 ه) فيراه مرادفا لما يسمى بالكلام المنصف كما دعاه البلاغيون حيث يقول في سياق تفسير{فمن ينصرني من الله إن عصيته }:"حرف الشك

1علي بن سلطان محمد القاري،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للتبريزي ، تح الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان،ط1422،1–2001 ،ج10/371–371.

2صدر الدين ابن معصوم،أنوار الربيع في أنواع البديع ، دار المعرفة , بيروت _ لبنان ،(د.ط)،1411هـ ص 450.

{إن}وأصل وضعها أنها لشك المتكلم ، وهو غير شاك في كونه على بينة لكنه من الكلام المنصف والاستدراج."[1] وتابعه الألوسي(ت127ه) في مرادفة المصطلحين بقوله :"يجوز أن يكون هذا من الكلام النصف والاستدراج ."[2]

ومن الأساليب التي تدخل ضمن الاستدراج أو تقترب منه المذهب الكلامي وحسن التقسيم والكناية والحجاج وغيرها...[3]، ولكن ليس كل مصطلح من هاته المصطلحات مرادف للاستدراج، ويتضح ذلك من خلال امتناع العلماء من إطلاق تسمية الاستدراج على كل أبواب البلاغة وفنونها ، ذلك أن البلاغة تقتضي أحيانا المواجهة والمجابهة بالكلام الصريح وهنا يمتنع الاستدراج .

2 بلاغة الاستدراج :

الاستدراج من الأساليب البلاغية الواردة في القرآن الكريم في الكثير من الأمثلة والقضايا وفي الحديث الشريف وغيرهما ، فهو يمهد للحق ويسعى لاستمالة المخاطبين، وإقناعهم بلطف حتى يذعنوا للحق. وبه تقوم الحجة التي لا مفر للمعاند منها ، وقد قال ابن الأثير عن الاستدراج أنه:"إذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه ، لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها."[4]

ومن بلاغة الاستدراج أنه يبعث على التفكر والتأمل والتدبر، ومراجعة المواقف والاعتقادات بتأمل و إنصاف. ولمثل هذه البلاغة والبراعة والتأثير شاع الاستدراج في

1ينظر :احمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي،حاشية الشهاب تفسير البيضاوي ،دار صادر، بيروت–لبنان،(ط.د)،(د.ت)،ج46/4.في سياق تفسير قوله تعالى : {فمن ينصرني من الله إن عصيته} آية 63 من سورة هود .

2شهاب الدين الألوسي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية،دار الكتب العلمية بيروت_لبنان،ط 1401،1هـ ،ج214/6

3ينظر :علي القاري، مرقاة المفاتيح ،ص46

4ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ص250

الاحتجاج على ألسنة الأنبياء وفي أساليبهم، كما أن في حديث النبي صلى الله عليه وسلم يتجسد الاستدراج،في مواضع

وصور كثيرة وقال العلوي :" ولا شك أن له (صلى الله عليه وسلم) مع الكفار من عبدة الأوثان والأصنام وغيرهم من أهل الكتب كاليهود والنصارى، ملاطفة في حسن الاستدراج ولين العريكة ، والتهالك في دعائهم إلى الدين، والإمعان في الانقياد له ،شيء كثير لا يحصر عدده ، ولا يتجاوز أمده."[1]

وقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام أواها حليما لطيفا بقومه، عكسهم هم فقد كانوا طغاة قساة. فكان الاستدراج ملائما لطبعه الذي طبعه الله عليه، ما يبين أن الاستدراج من أفضل وسائل الدعوة والتربية والتوجيه، لكونه يتجنب سبيل المواجهة وأسلوب المجابهة عن طريق "الملاطفة في النصح بكلام منصف غير مشط مشدد" [2] ،وهذا من أوضح الدلائل على بلاغة هذا الأسلوب،ويرى الألوسي أن:"الاستدراج مما تتراكض فيه خيول المناظرين."[3] إلا أنه في الواقع ليس مقصورا على المناظرين فقط، لينتفعوا به هم و أصحاب الجدل، فالاستدراج يتحقق بأي أسلوب من أساليب البلاغة يناسبه ، ولو لم يكن أسلوبا جدليا أو حواريا ، كما يحسن في أي مقام يستدعيه ويقتضيه جدليا كان أو غيره .[4]

1يحيي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني ،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، المكتبة العنصرية ،بيروت – لبنان،ط1 ،1423 هـ،ص 151.

2شهاب الدين الخفاجي ،حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ،ص46

3شهاب الدين الألوسي ، المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ،ج6/ص394

4ينظر :محمد بن عبد الرحمن الحراز ،مصطلح الاستدراج المفهوم والاثر،مجلة كلية الاداب واللغة العربية بالزقازيق 2015 م، العدد 35،ص847

المبحث الثالث : أثر الحجاج بالاستدراج في تنوع مشاهد القصص القرآني : قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجا:

يختلف الخطاب في مشاهد القصص القرآني باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم، وقد ورد في كل موضع من القرآن وفي سور متعددة، بأسلوب يتمايز عن الآخر من خلال تقديم حجج بمستويات مختلفة، طبقا لاختلاف مستويات التلقي.

وللحجاج بالاستدراج تأديات متنوعة يلجأ إليها المحاجج، وهي جملة من الوسائل اللفظية أهمها: الحد الاسمي المضمن وصف السامع ونعته وضمائر الخطاب . وهذه الوسائل مجتمعة يعمد إليها المحاجج ، حتى يستدرج سامعه ، ويستجلبه عقلا وعاطفة إلى دائرة خطابه[1] ، وقد جاءت الدعوة إلى الله في القرآن بما يلاءم نفسية المخاطب، ولا يواجهه بشكل مباشر بل يستدرجه حتى يتحقق إقناعه، وكذلك الأمر في خطاب إبراهيم عليه السلام؛ حيث ورد في آيات القرآن بسياقات متعددة وكان في كل مرة يسترسلهم ليصل بهم إلى الحقيقة الإلهية عن طريق آلية الاستدراج .

ونحن نسعى في هذا المبحث إلى اكتشاف المنحى الاستدراجي الذي أسهم في تنوع مشاهد الحوار القصصي في خطاب إبراهيم عليه السلام.

قدم القرآن الكريم سيدنا إبراهيم عليه السلام في أشرف صورة، قيمتها وصيته عند موته ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّين فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ

1علوي حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته ،عالم الكتب الحديث ، إربد –الأردن ، 2010م ، ج2/ ص226.

أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿132﴾)(سورة البقرة الآية 132)،وله في رصيده وقفات إيمانية وثقها القرآن في أكثر من موضع، بدءا بتسليمه الكامل لرب العالمين (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿131﴾) (سورة البقرة الآية 131) ، ثم إن قصته مع قومه في سبيل إعلان كلمة التوحيد خير دليل على كفرهم وباطل ما يزعمونه، من شرك وربوبية لغير الله وحده حيث وردت

حججه في موضع من سورة الأنبياء على شكل استدراج بأساليب استفهامية ،حيث يقول الله (عزوجل) في محكم تنزيله من سورة الأنبياء: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71)) (الأنبياء 71/51)

تروي هذه الآيات المباركات حوار النبي إبراهيم عليه السلام مع قومه، فكانت البداية بقوله تعالى ((وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)))[1] دلالة على رجاحة عقله وسلامة فكره؛ الذين يجعلانه مؤهلا لمحاجة قومه بالأدلة، بناء على شخصيته الهادئة فكان الاستدراج ملائما لطبعه .

وتمحور الحوار حول سؤال مركزي مفاده: ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52)))[2]،ليأخذ الحوار بعد ذلك منحى السؤال والجواب، فتتوالى أسئلة إبراهيم عليه السلام في مقابل أجوبة قومه وأسئلة قومه مقابل أجوبته .

س : ماهذه التماثيل التي انتم لها عكفون ؟

ج: قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدون

قال : لقد كنتم أنتم وءاباؤكم في ضلال مبين

س : أجئتنا بالحق أم أنت من اللعبين ؟

ج : قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين

س : قالوا من فعل هذا بآلهتنا ؟ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟

ج : قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون

1سورة الأنبياء/51

2سورة الأنبياء /52

ويمكن استنباط من أسئلة قومه أن الحجاج بالاستدراج يسمح للمعارض بالمشاركة في العملية الخطابية ليصل به في النهاية إلى الاقتناع بالحق .

استدرج إبراهيم قومه بسؤالهم عن حقيقة آلهتهم؛ مما دفعهم للبحث عن إجابة والتمعن في حقيقتها، كما أن الغرض من الاستفهام هنا هو الاستنكار، وفي ذلك بعد حجاجي مفاده أن هذه التماثيل لا تتلاءم والألوهية، ولا تستحق العبودية، وانطلق إبراهيم في استدراج قومه من معطيات تتمثل في عجز أصنامهم عن الدفاع عن نفسها، وأنها لا تتكلم لتكون النتيجة أن عبادتها ضلال مبين، وأنها لا تضر ولا تنفع وأنهم هم الأخسرون ،لينتهي حواره بقوله ((أُفٍّ لَكُمْ

وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)))[1]. وبالرغم من استيقانهم لحقيقة أنها لا تنطق و أنها ضلال ،سرعان ما جحدوا وأمروا بحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام، بعد أن غلبهم بالحجة القاهرة، فجاءت عناية الله فنصر نبيه ((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69))[2]، ((وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70)))[3] ،فكانت هذه برهانا على وحدانية الله و أنه أحق بالألوهية وانه ينصر أنبياءه وينتقم من أعدائه .

وفي مشهد آخر يعرضه علينا القرآن الكريم من قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام ،حوار بين قومه من جهة وبين أبيه من جهة أخرى ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ

1سورة الأنبياء/ 67
2سورة الأنبياء/ 69
3سورة الأنبياء/70

لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81))، تضمنت هذه الآيات المباركات نسقا تصاعديا من الحجج ،ويبدو ذلك عند التأمل في هذه الحوارية الدائرة بين إبراهيم وأبيه ، حيث بدأ الحوار مع أبيه منكرا عليه عبادة الأصنام ،واتخاذها ءالهة من دون الله تعالى؛ إذ استعمل أسلوب الاستفهام الاستنكاري ؛أتتخذ أصناما ألهه ؟ ؛أي: أتجعلها ءالهة لك تعبدها؟، وقد انطلق ابراهيم

من إيمان عميق في عرض تصوراته وعقائده بعناية من الله و هدايته،فقد أطلعه الله على ملكوت السماوات والأرض. إذ يقول تعالى ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)))[1] وقد بين أبو السعود(ت982 ه) معناها بقوله "أي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما، وسلطانه القاهر عليهما، وكونهما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى، لا تبصيرا آخر أدنى منه "[2]

استعمل إبراهيم عليه السلام أسلوب الخطاب غير المباشر مع أبيه، ليقنعه دون أن تحدث لديه ردة فعل معينة، فلو واجهه بالحقيقة التي لا يريدها مباشرة، لأحدث ردة فعل شديدة تجاه إبراهيم؛ لأن أباه متشبع كليا بعبادة الأصنام ،وبذلك لا يمكن لإبراهيم أن

1سورة الأنعام /75

2القاضي القضاة ابي السعود بن محمد العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود،تح:عبد القادر احمد عطا، مكتبة الحديث ،الرياض،(د.ط)،(د.ت)،ج234/3.

يعرض عليه دينه عن طريق نهيه عن عقيدة الأصنام ، فاستدرجه إبراهيم بشكل غير مباشر، من خلال استعمال السؤال الاستنكاري ؛أتتخذ أصناما ءالهه؟ ،ثم يعقب عليه بقوله: ((إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74)))[1]،ففي هذه العبارة تفصيل من الاستدراج ،إذ يدفع بأبيه لطرح تساؤل لماذا ترانا في ضلال مبين؟ وليشد انتباهه نحوه ، فيجيبه النبي ابراهيم مستدلا على ذلك ، مستدرجا إياه إلى نطاق الإيمان بهذا الأسلوب الجميل .

ثم اتخذ إبراهيم موقفا جديدا للدعوة ،إذ استدرج أباه وقومه فانطلق بهم من موقف الشك إلى موقف اليقين، في أسلوب هادئ ينطلق من الحوار الذاتي ، فأراد أن يبث فيهم الشك بعبادة الكواكب، حتى أعلن أن الشمس هي الرب الذي يبحث عنه، فهي أكبر الكواكب وأشدها ضياء، فلما غابت أعلن لقومه عن برأته من عبادتها، ووجه وجه للذي فطر السماوات والأرض وحده لا شريك له . وقد بين السمرقندي (ت 383هـ) أن غاية إبراهيم عليه السلام حين رأى

الكوكب طالعا، وقال هذا ربي هي استدراجهم للإيمان بوحدانية الله تعالى، فيكتشفوا فساد عقيدتهم وبطلان ادعاءاتهم[2].

إنبنى الاستدراج في هذا المشهد وفق منحنى تصاعدي، من مشهد الكوكب المنير، إلى القمر الأكثر إنارة، إلى الشمس الأكبر والأشد إنارة ، لكن كل هذا التصاعد مرهون بثنائية الضد؛ البزوغ والأفول، والتي تقابلها ثنائية الحضور والغياب، والتي لا تتناسب والذات الإلهية الحاضرة منذ الأزل لا تغيب أبد .

1سورة الأنعام /74

2 السمرقندي:نصر بن محمد بن احمد ، تفسير السمرقندي ، تح : محمود مطرجي ، دار الفكر بيروت –لبنان (د.ت)،(د.ط)، 4824/1

وتتنوع مشاهد قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ يقول الله عزوجل في سورة البقرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿258﴾﴾(البقرة 258)

جاء خطاب إبراهيم عليه السلام مع النمرود على شكل مناظرة ،وتبدأ بتحديد الهدف العام منها ويتمثل في من هو الرب الذي يستحق أن يعبد ؟، و الدليل على ذلك قول إبراهيم"رب الذي يحيي ويميت "، ويوحي قول إبراهيم أن النمرود الجاحد قد سأله من ربك؟ ،فانفتح المجال أمام المتناظرين لعرض حججهما ، وقد حاء الاستدراج في هذه المحاججة بعدم النقض في حجة النمرود الواهية "أنا أحيي وأميت "، حيث تغاضى عن هذه الحجة ،وواصل استمالة النمرود ليصل به إلى حجة أكبر، وهي أن يأتي بالشمس من المغرب ،فكان هذا إفحاما للنمرود بالبرهان العقلي "فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظلمين"

وبعد عرض بعض مشاهد قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام، التي تنوعت في كثير من مواضع القرآن الكريم، نلاحظ أن بنية الحجاج بالاستدراج قائمة وبوضوح في حوارات النبي إبراهيم عليه السلام، وقد أسهمت في تنوعها سيما في ظل الثراء الذي تقدمه آلية الاستدراج في كل محاججة، حيث اعتمدت طرق متعددة ؛ففي النموذج الأول من موضع سورة الأنبياء تشكلت

آلية الاستدراج من خلال عملية التسلسل الحجاجي، القائمة على السؤال والجواب بين إبراهيم وقومه ،والاسترسال الخطابي الذي شكل دعامة أساسية في المحاورة ،فسؤال إبراهيم الذي بدأ به المحاورة ربط الاتصال مع الطرف الآخر وحمله على المشاركة ،فالاستفهام يتطلب الجواب، ثم إن هذه المحاورة القائمة على السؤال والجواب كانت المعبر الأساس

للماججةن التي أفضت إلى نتيجة إعلان إبراهيم عليه السلام التوحيد ومعه الدليل على هذه الحقيقة؛ حيث اعتمد ابراهيم شاهدا حجاجيا استدرج قومه إليه بفعل تحطيم الأصنام، ليدفع بهم إلى سؤاله أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟ ،فكان الرد بل فعله كيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون وبالتالي أقام عليهم الحجة .

وأما النموذج الثاني فيقدم حججا من خلال التدرج بطريقة تمثيلية في عبادة الكواكب والقمر والشمس، وأن أفولها يعني عدم استحقاقها للعبودية، وقد بنى إبراهيم هذا الاستدلال على ما هو شائع عند القوم، من أن ما يغيب عن هذا العالم لا يستحق أن يتخذ إلها، ومع يقين إبراهيم عليه السلام بأنها لا تعبد ولكن أراد أن يستميل قومه ويهديهم إلى الحق ،بحجج بالغة بينة أمام أعينهم .

وأما النموذج الثالث فإن إبراهيم يعلم يقينا بأن النمرود لا يحيي ولا يميت، لكنه يتجاوز ذلك ويستدرجه، ليقيم عليه حجة ثانية وهي الإتيان بالشمس من المغرب.

الفصل الثاني : الحجاج بالمناظرة

1. المبحث الأول: في مفهوم الناظرة
2. المبحث الثاني: نشأة المناظرة وتطورها
3. المبحث الثالث: أثر الحجاج بالمناظرة في تنوع مشاهد القصص القرآني "مناظرة موسى عليه السلام وفرعون أنموذجا"

المبحث الأول:في مفهوم المناظرة:

يتميز الحجاج بكثرة الحقول المعرفية التي تتناولته ،كالفلسفة والمنطق واللسانيات ونظرية التواصل، كما يتميز بتعددية الأنماط ،منها المناظرة والتي تعد آلية حجاجية، ووسيلة من وسائل الإبلاغ ، توجه بها الخطاب القرآني إلى العقل الواعي ليعقل، وإلى الحس المرهف ليتأثر، وقد أدت المناظرة دورا مهما في إبلاغ وتحقيق مقاصد الدعوة والهداية قديما وحديثا؛وذلك من خلال استفادة العلماء من مناظرات الأنبياء والرسل لأقوامهم، والالتزام بأسلوب المناظرة وآدابها الموجودة في القرآن في مناظراتهم المختلفة، ومن خلال الخطاب القرآني سنحاول الكشف والتبيين عن فاعلية الحجاج بالمناظرة في تنوع مشاهد القصص القرآني، وبالضبط مناظرة النبي موسى عليه السلام مع فرعون،وقبل الخوض في غمار الحجاج بالمناظرة لابد من التطرق إلى مفهومها أولا .

1.لغة:

جاء في لسان العرب :"وتُنَاظره، ونَاظَره من المناظرة،والنَّظِير:المِثل،وقيل: المثل في كل شيء وفلان نَظِيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء"[1]،وجاء فيه أيضا: " إن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه كيف تأتيانه. "[2]

ورد في معجم مقاييس اللغة:"نظير:النون والظاء والراء أصل صحيح ترجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء، وهذا نظير هذا ن من هذا القياس ، أي أنه إذا نظر إليه والى نظيره كان سواء"[3]

والخليل في معجم العين يقول: " نظر إليه ينظر نظرا ... وتقول نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب "[1]، جاء في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب

---

[1]ابن منظور ، لسان العرب ، ج5 ، ص 219.

[2]نفسه،ص 217.

[3] أبو الحسن أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ،تح:عبد العليم الطحاوي،مطبعة الكويت،(د.ط)،1393ه–1974،ج14/ص 444

الأصفهاني"النظر تقليب البصر والبصيرة الإدراك الشيء وريته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد

الفحص،وهو الروية، يقال:نظرت فلم تنظر،أي لم تتأمل ولم تترو، وقوله تعالى:"قل انظروا ماذا في السموات والأرض"؛ أي تأملوا.و استعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عن الخاصة."[2]وفي المعاجم الحديثة كالوسيط فقد ورد:"نظر إلى الشيء نظرا، ونظْرا:أبصره، وتأمله بعينه، وفيه تدبر وتفكر.يقال نظر في الكتاب ونظر في الأمر."[3]،ويقال:تناظر القوم : نظر بعضهم إلى بعض وفي الأمر تجادلوا و تراوضو. والمناظر: المجادل المحاج.[4]والمناظرة هي المباحثة و المباراة واستحضار كل ما يراه ببصيرته .[5]

إذن فالمناظرة في اللغة مأخوذة من "النظير " أو "النظر" بمعنى الإبصار أو الانتظار، وفي الفرق بين النظر والمناظرة يمكن القول إن كل" مناظرة نظر وليس كل نظر مناظرة.[6]" إذ " ليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به؛لهذا كان النظر أوسع من المناظرة فكل ما يمكن المناظرة به يمكن النظر فيه. وليس كل ما يمكن النظر فيه يمكن مناظرة كل أحد به."[7]

وتتجلى المناظرة أيضا في الفكر والتراوض والمباراة والجدال، ولم ترد لفظة المناظرة في القرآن الكريم .

2.اصطلاحا:

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين،154/8 (مادة نظر)

2 –الراغب الأصفهاني،المفردات في غريب القرآن،تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز،(د.ط)، (د.ت)، 642/2–643.

[3] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، 1425 هـ –2004م ،ص931.

[4] ينظر : إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، مطابع الأوقست ، القاهرة ، ط3 ، 1405 هـ ، 1985 م ، 969/2.

[5]محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، تح: عبد العظيم الطحاوي ، مطبعة الكويت ، الكويت ، (د.ط)، (د.ت)،ج14/ 254.

[6] رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 1998 م ،1568/2

[7] ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، تح : محمد رشاد سالم ، إدارة الثقافة و النشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ،1411هـ –1991م 171/7

تعددت تعريفات العلماء للمناظرة ، فقد عرفها الجرجاني بأنها:"النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب."[1]

ويعرفها محمد الأمين الشنقطي:" بأنها محاورة بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر من أجل الوصول إلى الحقيقة والصواب.[2]

ويعرف" إحسان الدين أبو الخير" المعروف ب"طاش كبرى زاه" المناظرة بقوله:" هي كلمة مشتقة من (نظر) أو من (الانتظار) ، وفي الاصطلاح تعني النظر بالبصيرة لمتباريين يستند كل منهما إلى مذهب مختلف لمزيد الكشف عن الحقيقة "[3]

وعرفها طه عبد الرحمان بأنها :النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها[4] ، أما المناظر فهو من كان عارضا أو معترضا ، وكان هدفه إحداث أثر ، هو الإقناع بالصواب أو الاقتناع به ، سواء ظهر على يده او يد نظيره[5].

ويقول عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني في هذا الفن : " المناظرة هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر ، فهو يحاول إثبات وجهة نظره ، وإبطال وجهة نظر خصمه ، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره "[6]

فالمناظرة إذن محاورة فكرية بين طرفين متخاصمين ، تعالج موضوعا محددا ، يقوم أحد الطرفين بطرح الإشكالية ، ليسعى الخصم إلى إبطالها ، ويكون ذلك بالحجة والبرهان ،

---

[1] الشريف الجرجاني،التعريفات،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2 ، 2003م ،ص 228.

[2] –ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة،ص3.

[3] ينظر: مختار الفجاري ، الفكر العربي الإسلامي ،عالم الكتب الحديث،تونس،ط1، 2009 ، ص71

[4] –ينظر:طه عبد الرحمان، في اصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي، دار البيضاء،المغرب،ط2000،2م،ص46.

[5] نفسه، ص 47.

[6] عبد الرحمن حنبكة الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم ، دمشق ،ط4 ،ص 371.

وتكون المناظرة بحضور حكم عارف بعلم الكلام ، وبأسس المناظرة وقواعدها وشروطها وآدابها ، تنتهي المناظرة بسكوت أحد الطرفين ، عند انهزامه أو ارتباكه ، أو بتدخل الحكم لحسم المناظرة "[1]

المناظرة تهدف إلى إظهار الحق، وإقامة البرهان على صحته ، أمر الله سبحانه وتعالى جدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن .

3.الفرق بين الجدل والحوار والمناظرة :

1. الجدل :

أ- لغة: من "وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله ، وفتلته فتلا محكما "[2]

ب- اصطلاحا : فيعرفه الراغب الأصفهاني بقوله : " أن الجدال صراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة ".[3]

أما الجدل عند الشريف الجرجاني فهو " عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها."[4]والجدل الهدف منه هو الغلبة، أما المناظرة فهدفها الوصول إلى الصواب وإظهاره،وتوجد علاقة بينهما، مفادها أن المناظرة تستعين بالجدل للوصول إلى الحقائق ؛فالجدل وسيلة للمناظرة .

2 الحوار :

أ- لغة : من المحاورة وهي المجاوبة ، والتحاور التجاوب ، وتقول : كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي ما رد جوابا [5].

---

[1]ينظر: مختار الفجاري ، الفكر العربي الإسلامي ،ص 72

[2]ابن منظور ، لسان العرب ،ج11/ص103

[3]الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص 87

[4]الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص74

[5]ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ،ص218.

ب- اصطلاحا : الحوار يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب ، فالحوار هو الذي ينطلق في مهمة طرح الفكرة والدفاع عنها، ضد تحديات أعداها وخصومها في مختلف مجالات الصراع[1]. فالحوار من وسائل المناظرة ؛إذ أنه يديرها بين الطرفين .

ومنه فإن الجدل والحوار كليهما وسيلتان للمناظرة يديرانها ومرتبطان بها ارتباطا وثيقا.

4.أركان المناظرة:

تتكون المناظرة من ركنين أساسين وهما:

1.الموضوع:

يجب أن تكون المناظرة موضوعا مهما تقوم عليه القضية التي ستجرى حولها، وتكون صورته مشخصة في ذهن كلا المتناظرين، ومحددة المعالم، معينة الأهداف، لذا نجد موضوع المناظرة:"إما متعلق بالعقيدة..مثل المسائل التي خاض فيها الأئمة والسلف الصالح ،وقد لا يكون الأمر متعلقا بأحكام العقيدة ولا بأحكام فقهية،بل متعلقا بمسائل فنية مما سكت عنها التشريع، فالصنف الأول والأخير من الموضوعات،أغلب الظن أن ما يستعمل فيها من قواعد موضوعية أو أدلة، هي القواعد أو الأدلة العقلية،أو كما يسميها الآخرون (الأدلة المنطقية)، وأما الموضوعات الفقهية فتحكمها قواعد أصولية مستسقاة من علم أصول الفقه."[2]

إن المناظرة من حيث الجمل يرى العلماء أنها تجرى في الجمل الخبرية؛ لأنها تتضمن تصديقا؛ أي يمكن الحكم فيها بالإثبات أوالنفي.أما الجمل الإنشائية فإنها لا تجرى فيها إلا ما تضمنت حكما خبريا يجوز للخصم أن يطالب بتصحيح النقل فيه.[3]

---

[1]ينظر : محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن قواعده و أساليبه و معطياته ، دار المنصوري ، الجزائر ، (دط) ، (دت) ،ج13/1.

[2]علي جريشة، ادب الحوار والمناظرة ، دار الوفاء، المنصورة، ط1410،1هـ-1989م،ص65.

[3]ينظر: عبد الرحمان حسن حنيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم ،دمشق،ط1414،4هـ-1993م ص378.

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن أولي النهى يرون أن العلم الصحيح هو ما التزام بالنص القرآني ومتعلقاته،ويذمون أهل البدع و الأهواء من المتكلمين المشتغلين بالمنطق. والنصف الآخر من الموضوعات يستعمل في الأدلة والحجج المنطقية، أما الموضوعات التي تحكمها قواعد أصولية فمستسقاة من علم أصول الفقه.[1]

2-المتناظرين (الفريقين):

يجب أن يكون هناك فريقين للتحاور حول موضوع المناظرة المحدد، حيث يكون فريق ناقل للخبر أو مدعي، ويكون الفريق الآخر معترض عليه،فهما طرفان يبغيان بلوغ الحق، يسمى البادئ "عارض الموضوع" معللا، والمعترض "سائلا".

أو يسمى البادئ"عارضا" مانعا:والمعترض مستدلا، وذلك تبعا لموضوع المناظرة،وقد يتغير المرء أثناء المناظرة فينقلب السائل معللا،والمعلل سائلا،أو المانع مستدلا والمستدل مانعا"[2]،إن كان الموضوع تعريفا أو تقسيما سمي المتعرض عليه(مستدلا) ويسمى صاحب التعريف أو التقسيم (مانعا).

5. شروط المناظرة:

هناك شروط وقواعد يجب إتباعها عند تناظر شخصين،فيجب أن تحقق هذه الشروط، فمن دونها لا تصلح إقامة المناظرة،ولقد حددها كل باحث حسب طبيعة بحثه والغاية منها،فأحمد ابراهيم الهاشمي ذكر ثلاثة شروط وهي[3]:

---

[1]ينظر :محمد الأمين مصدق، آليات الحجاج في مناظرات الشيخ احمد ديدات،إ .ليلى سهل،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتورة العلوم في الأدب واللغة العربية،تخصص لسانيات العربية، جامعة محمد خيضر –بسكرة–،قسم الآداب واللغة العربية،1440هـ–2019م،ص75.

[2]–علي جريشة،أدب الحوار والمناظرة، ص66.

[3]–ينظر: احمد الهاشمي، جواهر في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى،ط27 ،1389هـ–1969،ج224/1.

الأول:أن يجمع بين خصمين متضادين، أو متباينين في صفاتها، بحيث تظهر خواصها كالربيع، والخريف والصيف، و الشتاء.

الثاني:أن يأتي كل من الخصمين في نصرته لنفسه، وتفنيد مزاعم قرينه، بأدلة من شـــأنها أن ترفع قدره،وتحط من مقام الخصم،بحيث يميل بالسامع عنه إليه.

الثالث:أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغا حسنا، وترتب على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السامع، وتنمي فيه الرغبة في حل المشكل.

أما أبو وليد الباجي، فوضع مجموعة من الشروط والقوانين، التي يرى وجوب توفرها حتى تستقيم المناظرة،وتكون لها فائدة،وهي كالآتي[1]:

- **يجب على المحاور أن يقدم على محاورته تقوى الله –عز وجل– ويعني بذلك طلب الحق،ولا يقصد به المباهاة والمغالاة.**

- **يجب على المنظر أن يتزن في جلوسه، وألا يعلوا صوته كثيرا لأنه يسبب الضجر، ولا يخفت صوته جدا، ولا يكون متحمسا بكلامه ولا يعجب بجدله.**
- **على المناظر أن يحسن الإصغاء إلى الكلام محاوره، وإن وجد في كلامه فسادا، عليه أن يكون عونا في نظره، ولا يثق بقوته وضعف خصمه، وأن يكون صامدا حتى ينتهي من كلامه.**
- **عليه أن لا يتكلم على شيء لا يعرفه أو لا يعلمه، وأن يكون حواره في الموضوع المناقش،فإن الكلام على ما لم يقصده عدول عن الغرض المطلوب.**
- **أن لا يكون المناظر في حالة الجوع والعطش، ولا في حالة، الخوف والغضب.**

بينما يرى حمد العثمان أن للمناظرة خمسة شروط،وهي[1]:

[1]–ينظر:أبو وليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج ،تح:عبد المجيد تركي،دار الغرب الإسلامي،(د.ط)،(د.ت)،ص9–10.

- يجب أن تكون المناظرة فيها خلافية ،وهذا الشرط بديهي الوضوح،لأن المتفق ليس في محل النزاع،والمناظرة في الحقيقة ،هي أن يتضاد المناظرين كل واحد مذهب الآخر.
- أن يتساوى المتناظران في الرتبة،فإن كان سوف يناظر عالما عليه أن يكون أيضا عالما مثله،فإن الاختلاف في الرتبة يحدث نقص في العلم والفهم، إذا درج إلى بعض مسائل وفروع المسألة المتناظرة فيها، فتؤدي إلى عدم انتباه المتناظر إليها ،أولا يكون له علم ولا إدراك بها،فبذلك لا ينتفع بهذه المناظرة.
- أن يتساوى المتناظران في أسباب القيام بالحجة، ولابد من العدل والإنصاف،فإذا لم يستويا في أسباب القيام بالحجة و انفرد أحد على الأخر بميزة،فلا بد أو أوجب له رجحانا على خصمه وإن لم يكن محقا.
- اتفاق الطرفين في الكليات التي يرد إليها التنازع ، فإن لم يقم هذا الشرط لا ينتفع بالمناظرة،فإن لم يتفق المتناظران على الكليات تعطلت المناظرة و صارت شغبا.

- نصب الحاكم يقضي بين المتخاصمين، ويمنع الحجاج إذا استرسل المتناظران في العناد والمكابرة والتدافع، فيفصل المشاحنة عند اختلاف الأنظار.

6.فوائد المناظرة : [2]

- الوصول إلى وضوح الرؤية حول قضية ما لإيجاد قناعة مشتركة حولها .

---

[1]–ينظر:حمد بن ابراهيم العثمان،أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة،دار الحزم،بيروت–لبنان،ط1425،2ه–2004م،ص314–321.

[2]راجع : د. إبراهيم عبد الكريم سندي ، (الحوار والمناظرة في الإسلام ، أحمد ديدات نموذجا في العصر الحديث) ، مجلة جامعة أم القرى علوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، عدد 46 ، محرم 1430 هـ ، ص 39–40 بتصرف ، خالد خميس فراج ، المناظرة ، مقال منشور في الشبكة العنكبوتية ، تاريخ التصفح 2016/06/20 م ، نقلا عن د.حياة عبيد و د. فتيحة حسيني ، المناظرة في القرآن الكريم بين الإبلاغ والإمتاع مناظرة إبراهيم للنمرود في القرآن الكريم أنموذجا، مجلة مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية ، جامعة الوادي ، المجلد 2 ، عدد 1 ، جوان 2016 ، ص 11

- استقصاء جوانب الخلاف ما أمكن حول قضايا معينة ، وتجلية ما بين المتحاورين من قضايا خلافية ،مما قد يوفر حالة من الود ، ولذلك قيل : " إن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية".
- الابتعاد عن الأحكام التجريدية في قضايا الواقع ، كما أن الاستقصاء فيها يجنب النظرات الانفعالية أو القناعات المسبقة .
- التعمق في دراسة أبعاد القضية ،وخلفياتها مما يؤدي إلى شمول النظرة وسعتها .
- التدرب على أصول الحوار وتنظيم الاختلاف والتأدب بآدابه .

المبحث الثاني: نشأة المناظرة وتطورها و أهميتها:

نشأة المناظرة وتطورها :

تعود نشأة المناظرة كجنس خطابي إلى القرن الثاني للهجرة[1]، وكانت لها علاقة بالمناظرة الإغريقية التي سبقتها واللاتينية التي تلتها، ولها أيضا علاقة وطيدة بالأجناس الأدبية المعاصرة التي عرفتها الثقافة العربية[2] ، وهي جنس فكري عرف مراحل تطورية عند العرب

[1]ينظر: مختار الفجاري ، الفكر العربي الإسلامي ، ص43

[2]ينظر نفسه، ص 47

، حيث تحول من المجادلة الثنائية البسيطة إلى المناظرة الكلامية، المتضمنة لعقيدة مذهبية تعبر عن توجه فكري بعد القرن الثاني الهجري[1] ، فتتبع مراحل تطور المناظرة يسمح لنا بمعرفة أصولها ونشأتها .

ومن النصوص التي تقترب من فن المناظرة وتعد عاملة لتولدها ونشأتها نجد فن الخطابة، وقد كانت مزدهرة عند العرب، وتعد نصا حجاجيا من الدرجة الأولى، وكذا المنافرة واشتهرت كثيرا بين القبائل العربية ،سواء نثرا كانت أم شعرا، وفن المفاخرة ومرتبط بالبيئة العربية ارتباطا وثيقا، وخاصة في الشعر. وكلها نصوص تنبني على البرهان والحجة ،والقرآن الكريم النص المؤثر والأكثر حضورا في نشأة فن المناظرة باعتباره مركزا للحضارة الإسلامية .

لم يعرف العرب في جاهليتهم المناظرة بأركانها وآدابها بل عرفوا المنافرة والمفاخرة بين الشعراء، ثم في صدر الإسلام ظهرت المناظرات بين فريقين، كل منهما يدافع عن معتقده ودينه، وقد صور لنا القرآن الكريم نماذج من المناظرات ،كالتي كانت بين المؤمنين والمشركين وبين الرسل وأقوامهم ،كإبراهيم عليه السلام والنمرود وبين نوح عليه السلام وقومه وبين موسى عليه السلام وفرعون .

تطورت المناظرات في البيئة الإسلامية، فازدهرت في العصر الأموي المناظرات السياسية والدينية ،وخاصة بعد انقسام الخوارج فرقا عديدة، وظهور الفرق الكلامية بنهاية القرن الأول

[1] ينظر نفسه، ص 50

الهجري وأوائل القرن الثاني، كما ظهر نوع جديد من المناظرات وهي المناظرات الفقهية، وكان أبو حنيفة نموذجا لذلك ، فقد كان مناظرا بطبعه يناظر في المسائل الفقهية[1] .

شجع خلفاء بني العباس المناظرات بمختلف أنواعها واتجاهاتها، وأقبلوا على المتناظرين يستمعون إليهم، ويشجعون أحيانا رأيا معينا من آرائهم[2] ،إلى أن منع هارون الرشيد الجدل في الدين لما كثرت الخلافات، وقام بحبس أهل الكلام . ولكنه اضطر بعد ذلك للاستعانة بهم حين رأى أثرهم في مناهضة الخصوم، وإفحام أعداء الدين وأطلق حرياتهم[3] ، واحتل المعتزلة في عهد المأمون مكانة رفيعة في الدولة، وظهرت محنة خلق القرآن، إلى أن جاء الخليفة المتوكل ومنع الجدل في القرآن ، ولكن هذا لا يعني توقف المناظرات، ولكن الذي توقف هو تأييد الخليفة لها[4].

ومن أنواع المناظرات في هذا العصر مناظرة الكلب والديك بين النظام ومعبد، وقد أوردها الجاحظ في كتابه الحيوان ، ومنها المناظرات النحوية، كتلك التي كانت بين المبرد وثعلب ،إلى جانب المناظرات العقائدية[5] .

كانت نشأة المناظرات نتيجة لتظافر جملة من العوامل الحضارية والثقافية ، ولعل أهم عامل هو نشأة التفكير العقلي عند العرب، أو كما يصفه الجابري بالحركة التنويرية[6]كما أن الحركية الحضارية الإسلامية واتساع رقعتها، وتداخلها مع الأمم الأخرى والتبادل الفكري ،كان له الدور الأبرز في نشأة المناظرة .

أهمية المناظرة :

[1]محمد أمين مصطفى ، المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار النمر ، (دط)، 1914م ، ص 62.

[2]أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،(د.ط)،2003م ،ج2 ، ص54.

[3]محمد مصطفى أمين ، المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص32.

[4]أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج2 ، ص 45.

[5]محمد مصطفى أمين ، المناظرات في الأدب العربي،ص32.

[6]طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص68

جعلت المناظرة التفكير العقلي سلوكا يوميا لفئات واسعة من الشعب ، وجعلت الجدل الفكري وطرق التعبير عنه يتسم بطابع حجاجي عقلي، وتجلى ذلك في تطور مستوى التفكير،

وتجذر حرية الرأي والتعبير[1]، ويشترك الجميع على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية ،في البحث عن حلول للأوضاع وتقبل النقد والتصحيح متى تطلب ذلك[2] .

والمناظرة شغلت جل مناحي الحياة الفكرية، فكانت طريقة ناجحة في إخصاب الحوار العلمي، في مختلف العلوم المتعددة ، كالخلاف في الفقه والقياس النحو والنقائض في الأدب،[3] ولها دور بارز في نشأة علم الكلام؛ مما أكسب الإنتاج الفكري والتراث العربي الإسلامي ثراء فلسفيا متميزا .

[1]ينظر: مختار الفجاري ، الفكر العربي الإسلامي ، ص 49

[2]ينظر: طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،ص68

[3]ينظر:نفسه،ص 68

المبحث الثالث: أثر الحجاج بالمناظرة في تنوع مشاهد القصص القرآني: مناظرة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون أنموذجا:

جاء النص القرآني خطابا يحاور الآخر، ويريد أن يصل إليه مضمونا وشكلا، و أوجد القرآن في أسلوب المناظرة انفتاحا في كل مكان وزمان أمام المتلقي، فكانت المناظرة وسيلة واجه بها المكذبين والمعاندين وحرك بها القلوب وخاطب العقول.

أورد القرآن مناظرات عدة بين الأنبياء وأقوامهم، وتباينت هذه المناظرات واختلفت باختلاف الأقوام، واختلاف أنبيائهم عليهم السلام، ولكل نبي طريقته الخاصة؛ مما خلق تنوعا في مشاهد القصص القرآني. فنجد من القصص القرآني التي تنوعت مشاهدها ، قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ،فكان له جدال معه انتهى بهلاك فرعون وقومه ، وفي هذا المبحث سنستقصي ونكتشف إسهام المناظرة كآلية حجاجية في تنوع هذه المشاهد .

ذكرت قصة موسى في خمس وثلاثين سورة ،تباينت بين قومه بني إسرائيل وبين الطاغية فرعون وقومه، وكذا قصته مع الخضر،إلا أننا في هذا الفصل اخترنا مشهدين يفصلان مناظرته مع فرعون، مذكورين في سورة طه وسورة الشعراء، وقبل بيان أثر الحجاج بالمناظرة في تنوع هذين المشهدين، نتطرق إلى البنية العامة لمناظرة موسى عليه السلام مع فرعون.

1. أركان مناظرة موسى عليه السلام وفرعون:

إنبنت هذه المناظرة على مجموعة من الأركان مثل سائر المناظرات وهي :

أولا: الشخوص:

أ- المتناظران:وهما:

- موسى عليه السلام نبي الله الذي يحمل رسالة التوحيد إلى فرعون و قومه.
- فرعون الطاغية الذي نصب نفسه إلها على قومه ويستعبد قوم موسى بني إسرائيل.

كل منهما يدافع عن معتقده، فتناظرهما واضح حيث تتبدل الأدوار بينهما، و كل منهما يأخذ دور المتلقي والمرسل بالتناوب، وكل منهما يحارب أفكار الخصم وطروحاته، إضافة إلى إشراك

الجمهور واستمالته، وإشهاده على رهانات التزاع، ويمثل فرعون بالنسبة لموسى عليه السلام عدو شخصي، فهو يستبد قومه، ويمثل موسى عليه السلام بالنسبة لفرعون مجرما فارا وغلاما تمت تربيته داخل قصره.

ب- الحضور (الجمهور) :

والذي يشكل طرفا آخر على قدر من الأهمية كبير، ولذلك يولي الطرفان المتناظران الجمهور اهتماما خاصا، حيث توجه فرعون إلى قومه أثناء مناظرته مع موسى مذكرا إياهم، أن هذا الذي يدعي أنه رسول ماهو في الحقيقة إلا ذلك الفتى الشقي الذي ارتكب الجرم بحقهم، كما أنه أوقع في عقولهم أنه ساحر يريد الاستلاء على أرضهم، وأما موسى عليه السلام فقد حاول إشراك الجمهور، ووجه إليهم الخطاب؛ وذلك بتغير دلالة المخاطب الفردي إلى المخاطب بالجمع بقوله "ربكم" "آبائكم"،فاستدرج عقولهم إلى الصفات الإلهية التي لا يتميز بها فرعون ويتميز بها الله تعالى.

ثانيا:المكان:

جرت أحداث المناظرة في قصر الفرعون، مما أثار الرهبة في نفس موسى عليه السلام ؛لأنه يدرك طغيان خصمه ،ويعرفه معرفة جيدة ولذا دعا الله طالبا منه الإعانة.

ثالثا : الزمان :

لم يذكر القرآن الزمان بالدقة، إلا أن المناظرة جاءت بعد عودة موسى من مدين ،بعد حوالي ثمان أو عشر سنوات.

رابعا : الخطاب :

تأسس الكلام بين موسى عليه السلام وفرعون على الحجاج، فكلا منهما سعى إلى إسناد رأيه بمجموعة من البراهين، فكانت حجج موسى عليه السلام منسجمة، وتتميز بنسق من الحجج التي يسند بعضها بعضا، وأما فرعون فكانت حججه ضعيفة واهية تستند إلى المغالطة ،كان كل طرف يحاول أن يظهر بمظهر القوة أمام الطرف الآخر، وإفحامه وخاصة أمام جمهور الناظرين .

خامسا: الموضوع:

موضوع المناظرة كما يرويها لنا القرآن الكريم، هو الدعوة التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام ،وهي أنه رسول من رب العالمين إلى فرعون وملئه.

2. تحليل أحداث مناظرة موسى عليه السلام وفرعون:

يعرض علينا القرآن الكريم في سورة طه مشهدا حواريا، تتجلى فيه مناظرة بين الحق والباطل، بين موسى عليه السلام وفرعون لعنه الله ، قال تعالى : ((إذهبا إلى فرعون إنه طغى (43) فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى(44) قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى(45) قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى(46) فاتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى(47) إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى(48)قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى (49) قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى(50) قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى (51) قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسى (52)الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات

شتى(53) كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لأيات لأولي النهى(54) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (55)ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى(56)}[1].

تروي لنا الآيات قصة موسى وأخاه هارون عليهما السلام، وكيف أرسلهما الله إلى فرعون ((إذهبا إلى فرعون إنه طغى))[2] الذي طغى في الأرض وتجبر وادعى الربوبية، وقد أقيمت عليه حجة تبليغ الرسالة التي أتى بها موسى، حيث أن الحجة في استعمال الفعل الماضي "طغى" ،الذي دل على أن فرعون تجاوز الحدود في الطغيان ،إلى درجة يستلزم معها وضع حد له[3] ، إذ أنه استعبد أمة بأكملها، وأخضعها لأصناف العمل الشاق والصعب، وأذاقها لباس الذل والخوف، ويعتبر الطغيان أبلغ حجة منطقية عقلية وأخلاقية لتبليغ فرعون واختصاصه بالرسالة .

أُرسل موسى عليه السلام إلى طاغية مقتنع كليا أنه إله، فإقناعه بالرسالة أمر صعب فأدلى كل منهما بحجج للدفاع عن قضيته. فكانت بداية المناظرة لما عرض موسى وهارون على سمع فرعون أنهما رسولا ربه ، ((فأتياه فقولا إنا رسولا ربك))[4]، وهو استهلال حجاجي رائع، من شأنه أن يشد الإسماع لمضمون الرسالة، فلفظ "رسولا" تقتضي وجود رسالة، وتقتضي إعارة الانتباه ووجوب الاستماع، وكما هو متداول أن الرسول يُصدق وإن كُذب فهذا يناقض ويخالف المتداول المعروف، ولذلك نجد فرعون في خطابه لموسى ينزع عنه صفة الرسول، ليدل بذلك أنه بشر عادي، فسمح لنفسه بتكذيب كل ما جاء به موسى ؛ ولأن مضمون الرسالة مغاير تماما لمعتقد فرعون ومنطقه الخاص –((أنا ربكم

[1]–سورة طه/ 49–56.

[2]سورة طه/ 43.

[3]ينظر: آمنة رهوني ، الحجاج في قصة موسى عليه السلام سورة طه أنموذجا ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية ، جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي_ ، ص36

[4]سورة طه/ 47

الأعلى))[1]_، فقد وجه إليه سؤالا مشحونا بالسخرية أكثر منه سؤالا لمعرفة الحقيقة فقوله ((فمن ربكما يا موسى))[2] ، إعراض عن أن يقول: فمن ربي؟ ،وهو إعراض عن الاعتراف بالمربوبية وإنكار شديد، فكيف يكون رب موسى وهارون ربه، وهو رب في ذاته ،وفي ذلك حجة ضمنية تخدم موقفه الذي ذهب إليه[3] .

رد موسى عليه السلام ((ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))[4] أي؛ أن الله خلق كل شيء وجعل لكل شيء وظيفته، فحتى أنت يا فرعون واحد من خلق الله، جزء من الكل وتعرض موسى للفظة الرب دون الله لغاية حجاجية؛ مفادها تكذيب فرعون والرد على ادعائه ومقولته بأنه هو الإله ،والحقيقة أن الرب ربه هو أيضا ،فالنتيجة المضمرة أن على فرعون السمع والطاعة . إلا أن فرعون لم يتقبل الحق بسبب التكبر والعناد، فانطلق في طرح سؤال يريد به الخروج

عن الموضوع فقال: ((فما بال القرون الأولى))[5]؛ فكأنما أراد أن يحتج على إله موسى وعلى بطلان سعي موسى؛ إذ أنه لاشك أن إله موسى عاجز على معرفة أخبار الأمم السالفة التي لا علم لأحد بها، قياسا عليه هو الذي نصب نفسه إلها على قومه ،كانت حجة فرعون التي استدل بها من القرون الأولى حجة واهية وضعيفة، فمن جاءه العلم من عند الله فلا يجب أن يقلد الجاهل بالله فيما يفعل ويعبد، فجاءت إجابة موسى –عليه السلام– شافية كافية لفرعون :"قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى"[6]، حيث قطعه عن الخروج من موضوع المناظرة فقوله:علمها عند ربي يبين التزام موسى– عليه السلام–بما

[1]سورة النازعات/ 24

[2]سورة طه/ 49

[3]ينظر آمنة رهوني،الحجاج في قصة موسى عليه السلام سورة طه أ نموذجا، ص 58

[4]سورة طه /50

[5]سورة طه /51

[6]سورة طه / 52

أرسل من أجله فهو لا يتكلم فيما لا يعرفه أو لم يكلفه به ربه؛ لأنه ما حدث في القرون الأولى لا يعلمه إلا الله وحده، فهذا ما قاله موسى –عليه السلام– ،وفي عدم جوابه على سؤال فرعون الذي يعيق إيصال الرسالة ويخرج عن القصد الذي جاء من أجله حجة له، وقوله:((لا يضل ربي ولا ينسى))[1] حجاج بالنفي أفاد صريحه تنزيه الله عن العيوب، وأفاد ضمينه لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى أنت يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة[2]، ثم أعلمه من صفات الله التي لا تشريك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز."[3]، فاستدل موسى عليه السلام على وجود الخالق بنماذج من هذا الكون، وتعددت هذه

الحجج وترابطت بالوصل ضمن نسق حجاجي واحد، بقصد إثبات الربوبية والألوهية لله وحده، ومثل هذه الحجج لو تدبرها العقل وصل إلى نتيجة مفادها هي أن فرعون ليس بإله، بل هو في ذاته يحتاج لهذه النعم ولا يستطيع إيجادها ، ولكن مثل هذه الحجج لا تنفع لمن لا يسمع ولا يفقه، وهذا التدرج في عرض الحجج والأدلة ما هو إلا استدراج لفرعون كي يقتنع، لاسيما أن حجج موسى دامغة وتؤكد صدق دعواه، وبناء على ذلك ستكون النتيجة لصالح موسى وهارون عليهما السلام.

جواب موسى–عليه السلام– كان ثقيلا على نفس فرعون فلم يستطع إن يثبت للحضور بأنه يملك الصفات الإلهية التي يملكها رب موسى –عليه السلام–، مما جعله يقع في موقف محرج أمام قومه. فكذب وأبى وتعالى ورفض الإقرار بالهزيمة، بعد أن أفحمه موسى بالحجة الدامغة وبالآية الكبرى، فخرج فرعون عن آداب المناظرة وجرح في شخص موسى فاعتبره ساحرا، وهذا ما يسمى بالسفسطة، ثم إنهم بعد الحجج والدلائل لم يؤمنوا، فما كان من الله إلا أن أقام عليهم الحجة فأغرقهم في اليم وأهلكهم .

---

[1] سورة طه /52

[2] الزمخشري،الكشاف،تح:عبد الرزاق المهدي،دار احياء التراث العربي،بيروت،(د.ط)ن(د.ت)،ص436

[3] –محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، (د.ط)،(د.ت)،ص1253.

وفي سورة الشعراء مناظرة بين موسى عليه السلام وفرعون في قوله عز وجل: {فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العلمين (16) أن أرسل معنا بني إسرائيل (17) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (18) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكفرين (19) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين(20) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماوجعلني من الصلحين (21) وتلك نعمة تمنها عليَّ أن عبدت بني إسرائيل (22) قالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائكمٱلأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ

ٱلَّذِيأُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (29)}[1]

افتتح الكلام في هذا المشهد باستجابة موسى وهارون عليهما السلام، لأمر الله عزوجل أنهما رسول رب العالمين، ودعا موسى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل على هذا الأساس، وأن يكف عن أذيتهم لكن فرعون حاول الانتقاص من قيمة موسى عليه السلام ،واتبع معه أسلوب الفضح مذكرا إياه (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكفرين)[2] وفي تفسير هذه الآية يقول الشعراوي:" أي أنا الذي ربيتك وأنت صغير ورعيتك حتى صرت شابا قويا (...) وهنا فرعون يذكره بالرجل الذي قتله قبل أن يهرب إلى أرض مدين . ومعنى : "وأنت من الكافرين" إما:من الكافرين بألوهية فرعون ، أوالكافرين بنعمنا عليك، لأننا ربيناك

[1]–سورة الشعراء/16–29.

[2]سورة الشعراء / 18–19

وأكرمناك "[1]، وكان قصد فرعون من هذا الخطاب، هو إفحام موسى كي يتلعثم من خشية فرعون، حيث أوجد لنفسه سببا يتذرع به إلى قتله، ويكون معذورا فيه حيث كفر نعمة الولاية بالتربية ، واقترف جرم الجناية على النفس . فما كان من موسى إلا أن رد عليه الفضيحة "وتلك نعمة تمنها عليَّ أن عبدت بني إسرائيل "[2]، أي تمن علي بهذه الأشياء التي فعلتها معي من تربية ورعاية ؟ هل هذه الحسنة تقارنها بما تفعله مع بني إسرائيل ، من ذبح الأطفال الذكور واستحياء النساء واستعباد الرجال ، فهل هذا يقارن بما تفعله في حق قومي، وفي كلام موسى نقض لامتنان فرعون بقلب النعمة نقمة، وفيه أن الإساءة إليه مع الإساءة إلى قومه لا يزيد إحسانا ولا منة .

وكان أول سؤال لفرعون عن إله سيدنا موسى يتعلق بإثبات ماهية رب العالمين ،حيث فسر الإمام البغوي قوله تعالى (وما رب العالمين) بقوله:"يقول:أي شيء رب العالمين، الذي تزعم

أنك رسوله إلي؟، يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه ب'ما'،وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام بذكر قدرة الله التي تتجلى من خلال أفعاله، يعجز فرعون عن الإتيان بمثلها. {قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ.}[3]."[4] وقد تضمن جواب موسى تنبيها على أن الاستدلال على ثبات الخالق الواحد يحصل بالنظر في السماوات والأرض، وهكذا فقد عمد تحويل فكره عن ماهية رب العالمين إلى النظر في المصنوعات، الدالة على ما يجب لصانعها سبحانه وما يستحيل في حقه. ثم انتقل

[1] محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء ، تح: منشاوي غانم جبر ، دار الكتب العلمية ، (د.ط)،(د.ت)،ج3 /ص1513

[2] سورة الشعراء / 22

[3] سورة الشعراء / 24

[4] –الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد، معالم التنزيل في تفسير القرآن تح:عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط 1،1420 ه،ج465/3.

موسى إلى مالا قبل لهم بجحده والتباسه، وهو التصرف العجيب المشاهد كل يوم مرتين،شروق الشمس وغروبها.

أما قوله :"ربكم ورب أبائكم الأولين"[1]، فتبين هذه الحجة أن فرعون مولود وأنه موجود بعد أن لم يكن، فهو إذن مربوب فخرج عن الكلام والمناظرة، واتجه إلى القوم ساخرا من موسى ونعته بالجنون.

وجاء موسى بحجة أخرى لكي يعجز فرعون، حيث قال له في قوله عز وجل: {قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}[2]، فهذا دليل عقلي على أن الكون وبما فيه لابد له من خالق عظيم بيده ملكوت كل شيء، فيستحيل أن يكون خالق الكون أو مصممه بشر، فهذه قدرات إلهية ليس لفرعون شيء في التصرف فيها، فيقول الله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[3]،قال ابن عاشور:"أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله، إذ لا يقدر عليها غير الله. وإنما أيقن موسى بأن فرعون قد علم بذلك ،إما بوحي من الله أعلمه به، وإما برأي مصيب ؛لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي، لا يتخلف عن عقل سليم. والإشارة ب"هؤلاء" إلى الآيات التسع، والبصائر:الحجج المفيدة للبصيرة، أي العلم، فكأنها

نفس البصيرة. أيقن فرعون بصدق موسى –عليه السلام– فيما بلغ عن ربه، لقوة المعجزات ووضوح الأدلة من خلق وتدبير ، ومع ذلك آثر الإعراض عن الإيمان بالله ، كي لا يخسر ملكه وسلطانه وإلهيته المزعومة عند قومه. مع أن كل هذه البصائر تشير إلى صدق النبوة."[4] ، فما كان من فرعون إلا أن هدد موسى بالسجن .

[1]سورة الشعراء/ 26

[2]سورة الشعراء/ 28

[3]–سورة الإسراء/102.

[4]–ينظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير،الدار التونسية،تونس،(د.ط)،(د.ت)، ج15/227–226.

يتبين من خلال تحليلنا لمناظرة موسى عليه السلام وفرعون في كلا المشهدين، أن المناظرة كآلية حجاجية لها فعالية في تنوع هذين المشهدين، و لابد أن نشير أن القصة واحدة ولا تختلف أحداثها، لكن تختلف سياقات عرضها وذلك لأغراض دينية ومقاصد شرعية أكثر منها فنية،حيث إنه من سياق المناظرة وطريقة عرض الحجج، يتبين أن المناظرة في سورة طه كانت في جلسة خاصة بين موسى عليه السلام وفرعون؛ إذ كان كلام فرعون هادئا في الظاهر لأنه يريد أن يتعرف على موسى ودعوته، فكان جادا في البحث راغبا في المعرفة لا ليؤمن ويهتدي، ولكن ليكون صورة متكاملة عن موسى ليعرف كيف يواجهه، في حين أن المناظرة في سورة الشعراء كانت في جلسة موسعة، حضرها كبار الدولة وحرص فرعون على أن يحاور موسى أمام الملأ، ليهيجهم عليه ويضع أيديهم على مدى خطورة دعوته، لذا نراه يصعد في نبرته وارتفعت حدة كلامه، لكن موسى عليه السلام بقي متمتعا بهدوئه محافظا على الموضوعية الحكيمة.

تشكلت المناظرة على بنية حجاجية متعددة الحجج، حيث تكون في سياق واحد كما في سورة طه وتهدف إلى إقناع متلقي واحد، بينما في سورة الشعراء تتسم بالانفتاح وتهدف إلى إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين، حيث إن في سورة الشعراء كان مستهل الأمر الإلهي لموسى أن يذهب إلى القوم الظالمين؛ قوم فرعون ألا يتقون ،أما في سورة طه فاذهبا إلى فرعون إنه طغى .

غلب على مشهد المناظرة في سورة طه الحوار، وهو وسيلة من وسائل المناظرة الذي من أغراضه معرفة الحقائق، ويعتمد على ثنائية السؤال والجواب، فنجد أن فرعون يبادر بالسؤال بينما موسى عليه السلام يجيب،كما أن في حجج موسى عليه السلام في هذا المشهد استدراج لفرعون ،كي يقتنع بدعواه على الرغم من محاولة فرعون التملص من الموضوع، بينما تنتهج المناظرة في سورة الشعراء منهج الجدل، حيث غلب على الحجج التنازع والخصام، إذ أن فرعون عمد إلى التضييق على موسى عليه السلام، والانتقاص من شخصه وإفحامه والنيل منه ،وكذا موسى فقد

صعد في طرح حجج من قوية إلى أقوى منها ومن العام إلى الخاص، فقوله: "رب العالمين"، ثم إلى أقوى منها وأخص قوله: "ربكم ورب آبائكم الأولين"، ثم إلى الأخص "رب المشرق والمغرب وما بينهما".

الفصل الثالث : الحجاج بالتمثيل

1. المبحث الأول : في مفهوم الحجاج بالتمثيل
2. المبحث الثاني : التمثيل آلية حجاجية في تنوع مشاهد القصص القرآني

المبحث الأول : في مفهوم الحجاج بالتمثيل :

اتخذ الخطاب القرآني أساليب عدة للحجاج جاءت شاملة متنوعة ، حيث انفرد النظم القرآني بخصائصه التركيبية ومنها ظاهرة الحجاج بالتمثيل، وتعد آلية التمثيل إحدى أبرز التقنيات الموظفة لتحقيق الأغراض الحجاجية، وذلك لما تتميز به من أبعاد لسانية وفكرية وجمالية، وآليات إقناعية وتأثيرية في النفس والعقل، ونحن نسعى في هذا الفصل من خلال دراسة آلية التمثيل، وتتبعها إلى بيان خصائص الحجاج وأساليبه في القرآن الكريم، وبيان أثر هذه الآلية في تنوع مشاهد القصص القرآني .

1. مفهوم التمثيل :

التمثيل اسم جامع يدل على إيراد الأمثال لأغراض مخصوصة، وهو " عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المخاطِب من الاحتجاج وبيان حججه "[1]، ويرى الراغب الأصفهاني أن العمدة في آلية التمثيل هي المَثل وهو يطلق في القرآن الكريم ويراد به معنيان[2] :

الأول : بمعنى المِثل : أي وصف الشيء نحو قوله تعالى ((مثل الجنة التي وعد المتقون)) (الرعد 35)

الثاني : بمعنى مطلق المشابهة ،من أي جهة كانت سواء في الجوهر أو الكيفية ، أو الكمية ،ومنه قوله تعالى ((ليس كمثله شيء)) (الشورى 11) فعمّ ذلك النفي كل وجه للمشابهة بين الله تعالى وغيره .

[1] حافظ إسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج1 /ص139

[2] ينظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ،ج2/ ص597

وبذلك يكون التمثيل ربط بين مجالين بوساطة مثل أو مشابهة، والمراد من ذلك إقناع المتلقي بالحجج .

وعرفه محمد الصالح فقال :" هو ذكر مماثل للشيء، مثل أن أقول هذا القلم مثل هذا القلم؛ لأني ذكرت شيئا مماثلا لشيء ، وعرفت هذا القلم بذكر مماثله "[1]

وأيضا عرف التمثيل من قبل الجرجاني "على أنه مجاز جيء به على حد الاستعارة، فمثاله قولك لرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فلأصل في هذا أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ثم اختصر الكلام جعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها عن الحقيقة ، كما كان الأصل في قولك رأيت أسدا ورأيت رجلا كالأسد ، ثم جعل كأنه الأسد في الحقيقة "[2]. فالتمثيل هنا جاء مجازا، بغية تبيين تردد الرجل أو شجاعته وقوته للمتلقي، عن طريق التمثيل، بصورة قريبة من الواقع تضم الصفات المراد إثباتها ، ويرى عبد القاهر الجرجاني أنه نوع ثاني للتشبيه يكون وجه الشبه فيه غامض يصعب إدراكه إلا باعتماد التأويل .

أما قدامة بن جعفر فقد خصص له بابا كاملا، في كتابه نقد الشعر وعرفه فقال:" هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام منبثان عما أراد أن يشير إليه "[3] .

---

[1] محمد الصالح العثيمين ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط6 ، 1461هـ ، مج1، ص 102

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ت : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،القاهرة–مصر،(د.ط)،(ط.ت)،ص68،69

[3] إنعام فوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع البيان والمعاني ، مر : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت_لبنان ،ط2 ، 1992م ، ص 424

ونلاحظ أن التعريف الذي قدمه قدامة بن جعفر لا يختلف كثيرا عن التعريف الذي قدمه الجرجاني، لأن كلا المفهومين يتضمن مفهوم الاستعارة على أنها التمثيل ، رغم أن قدامة لم يصرح بها وإنما اكتفى بمفهومها .

وقد جاء عند "الإمام القزويني" في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة "أن " التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور، " إذن فيكون " هيئة حاصلة من عدة أمور ، سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين ، أو كان ،أحدهما مفردا والآخر مركبا وهو بذلك محتاج إلى ضرب من التأمل والتأويل ، فكل تشبيه تمثيل وليس كل تمثيل تشبيه"[1].

2. العلاقة بين التمثيل والتشبيه :

التمثيل فرع من التشبيه في علم البيان، لاشتراكهما في الصورة و الغرض، فكل منهما يتطلب طرفين و وجه تماثل و أداة رابطة، والغرض الجامع بينهما هو بيان أحد الطرفين بالآخر، إذا كان المعنى المتمثل في الطرف الثاني أقوى وأظهر[2]،ويقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك " التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا "[3]، فالتشبيه أعم والتمثيل أخص وهذا فرق دقيق بينهما ،فالتمثيل يتطلب شروطا لا يستوفيها كل تشبيه .

3. العلاقة بين التمثيل و التصوير:

[1]أبو العلاء جلال الدين الخطيب القز ويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، راجعه عماد بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت _ لبنان ،ط3 ، ص142

[2]ينظر أحمد الهاشمي ، جوهر البلاغة ، المكتبة العصرية ، لبنان ،(د.ط)،(دت) ، ص238

[3]الجرجاني ، أسرار البلاغة ، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، سوريا ، لبنان ، ط1 ،2007 ، ص88.ص95.

التمثيل هو استحضار صورة الشيء الممثل كأنه منظور للعيان، ومثل له الشيء صوره حتى كأنه ينظر إليه[1] فالتمثيل يرتبط خطابيا بآلية التشبيه، وتتعلق في جانبها التواصلي بمفهوم التصوير الذي يحدث في الذهن جملة من عمليات عقلية متسلسلة، تستهدف إقامة روابط تصويرية بين مجالي التمثيل (مجال الهدف،مجال المصدر)، فيتوصل بها إلى إدراك أحد المتماثلين بالآخر من جهة الاستبدال؛ لذلك نرى أن الصورة التي يرسمها التمثيل هي في حقيقتها تعبير استبدالي، يقوم فيها

الشيء المشاهد أو الملموس _أي الصورة_ بديلا عن الفكرة أو المعنى أو المفهوم ،سواء جاء هذا التعبير بالصورة للكشف عن كوامن نفس المتكلم أم لمجرد الإمتاع و التأثير و المحاجة و الإقناع، فالتمثيل يقوم على فكرة الاستبدال، الذي تتيحه المجالات المتماثلة في قاسم مشترك واحد أو أكثر فيتبين أن آلية التمثيل في شقها الحجاجي تعمل وفق نسق ذهني محض[2] .

4. حجاجية التمثيل :

التمثيل من أهم وسائل الحجاج ،من حيث هو آلية لغوية لها القدرة على استحضار عوامل خارجية وتوظيفها لأغراض إقناعية ، إذ تكمن حجاجيته في إثبات المعاني المخبر بها عن الشيء الذي وردت فيه هذه المعاني وإثباتها في النفوس، فهذه الأخيرة تتأثر وتأنس بما هو جلي وواضح، وما هو محسوس، وخصوصا إذا ربطت فكرة مبهمة بشيء واضح ومعروف لديها. وأكد عبد القاهر الجرجاني ذلك من خلال قوله: "إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، و تأتيها بصريح بعد مكني، وان تردها في الشيء تعلمها إياه إلى

[1] ابن منظور ، لسان العرب، ج11،ص613

[2] ينظر:مقران فصيح،عبد الناصر درغوم، الحجاج بالتمثيل في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجا ، المدونة ، المجلد 7،العدد2،ديسمبر2020 ، ص 641.

شيء آخر، هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس"[1]، إذ يبين عبد القاهر الجرجاني أن من وظائف التمثيل قوة تأثيره على النفس، وتحريك الوجدان ويقول أيضا "واعلم أن ما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكساها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها ،وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ،إن كان حجاجا كان برهانه أنور و سلطانه اقهر وبيانه أبهر "[2]،وترجع وظيفة التمثيل أيضا إلى أنه عملية إقناعية ،إذ يقيم في الذهن رابطة تصويرية بين المحسوس والمجرد، إذ المحسوس

أقرب في التصور من المجرد، وذلك ما يوافق طبيعة التمثيل الحجاجية ،وهو أيضا من الأساليب البيانية ،التي تقرب المعاني إلى ذهن السامع ،وتوضيحها وإزاحة ستار الإبهام عنه، ليحصل اقتناعه فيظهر بذلك أن التمثيل يتخذ بعدا حجاجيا من خلال آلياتي البيان والتبيين.

5. أهمية التمثيل :

للتمثيل أهمية كبيرة في الخطاب عامة وفي الحجاج خاصة، لما له من الأثر الجلي في تبيان ماهو مبهم إلى معروف مألوف، فيتحقق اقتناع المخاطب واستمالته، ونظرا لأهميته فقد استعمله القرآن الكريم في توجيه ذهن السامع وإزاحة الإبهام عنه، في رده للخصوم وتفنيد حججهم وأباطيلهم، ونجده أيضا في كلام الناس وخطاباتهم، فلا تكاد تخلو من مثل أو قصة، وما استعمال الأمثال وضربها إلا دليل على أهميتها في تقريب الفهم وإيصال المراد إلى ذهن

[1] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ص88.

[2] نفسه، ص115

السامع. ومن شأن التمثيل أنه ينتقل بالمخاطب من المتفق عليه إلى المختلف فيهن في بنية حجاجية محكمة ينتهي منها إلى إقناع المخاطب بدعواه[1].

المبحث الثاني : التمثيل آلية حجاجية في تنوع مشاهد القصص القرآني :

إن الواقف المتأمل في سور وآي القرآن الكريم، يلحظ استعمال التمثيل وإيراده بكثرة وبشتى الطرق، وفق أنماط عدة ومستويات مختلفة ولأغراض متنوعة، من ضمنها الحجاج بالتمثيل فللتمثيلات طاقة حجاجية إقناعية تشترك كلها في حسن السبك والحبك إيجازا وإعجازا، ويعد القصص القرآني من أنماط التمثيل حسب رأي ابن تيمية، فقد صنف القصص القرآني في باب الأمثال وقال رحمه الله :"ونظير ذلك ذكر القصص ، فإنها كلها أمثال ، هي أصول قياس واعتبار ولا يمكن تحديد ما يعتبر بها لأن كل إنسان له في حالة منها

[1]ينظر: مقران فصيح، الحجاج بالتمثيل في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجا،ص642

نصيب "[1]، وقال تعالى:" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون"،[2]وكما ذكرنا آنفا فإن مشاهد القصص القرآني متنوعة بتنوع مقاصدها، منها البيان والوعظ والتشريع والكشف عن السنن الاجتماعية والتاريخية وبيان بعض الأحكام الشرعية، ولآخذ العبر وتسلية لقلب النبي (صلى الله عليه وسلم)ودليل نبوته ولإقناعه وإقناع قومه، وإذ أننا سنحاول في هذا الجزء أن نستشف حجاجية آلية التمثيل في تنوع مشاهد القصص القرآني، وسنتخذ من قصص الأنبياء التي جاءت تمثيلا لواقع النبي (صلى الله عليه وسلم)نموذجا لدراسة الحجاج بالتمثيل في كل من سوريتي هود والشعراء .

تضمنت كل من سورة هود والشعراء قصص عدد من الرسل عليهم السلام، في نسق حجاجي تمثيلي، غرضه الإقناع والتأثير على المتلقي ،و اعتمد الخطاب في السورتين على استعمال آلية التمثيل بناء على ما يحدث في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم)، فوظف الأمثلة التاريخية في حجاجه ،ومثل بما حل بالمشركين من عذاب ونصرة الله لرسله فذكر نظرائهم من الأمم البائدة

ككقوم نوح وهود وشعيب وغيرهم، تعريضا بما في جميع ذلك من العبر وما ينبغي الحذر منه ،فإن أولئك لم تنفعهم آلهتهم التي يدعونها، فلا شك أن مشركي العرب صائرون إلى ما صار إليه أولئك.

تحليل مشاهد السورتين في قصص كل من نوح وهود وشعيب عليهم السلام :

[1]نقلا عن إبراهيم البيومي غانم ، الأمثال في القرآن الكريم ، www.ida2at.com، تاريخ النشر 2021/05/17 ، تاريخ التصفح 2022/05/21

[2]سورة يوسف/111

القصة	المشهد من سورة هود	موقع التمثيل فيها من حال النبي صلى الله عليه وسلم	المشهد من سورة الشعراء	موقع التمثيل فيها من حال النبي صلى الله عليه وسلم
التمثيل بقصة نوح عليه السلام	من قوله من تعالى "ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ...فاصبر إن العاقبة للمتقين " من الآية 25 إلى 49 من سورة هود	_تكذيب قريش لنبوته صلى الله عليه وسلم كما كذب قوم نوح رسولهم _إنذار لمشركي قريش وموعظتهم بما أصاب الذين من قبلهم من قوم نوح _تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره بعدم اليأس لأن نوحا على الرغم من مكوثه مدة طويلة إلا أنه لم يؤمن من قومه إلا القليل وأن عليه الصبر كما صبر نوح عليه السلام	قوله تعالى"كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ...وإن ربك لهو العزيز الرحيم " من الآية 105 إلى 122 من سورة الشعراء	كذب قوم نوح ولما لم يجدوا ما يطعنون به في دعوته اعرضوا عن الحق بتكبرهم وباحتقارهم لعباد الله المؤمنين وفي ذلك بيان وتحذير لقريش ومن منعه كبره واحتقاره لخلق الله من أتباع الحق فإن قوم نوح سبقوه بذلك فكان عاقبتهم العذاب
التمثيل بقصة هود عليه السلام	من قوله تعالى "و إلى عاد أخاهم هودا ...ألا بعدا لعاد قوم هود " من الآية 50 إلى 60 من سورة هود	_تكذيب قوم هود لنبيهم أيضا ووصفه بأنه قد مسه السوء من آلهتهم تماما كما وصفت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم _رفض عاد قوم هود ترك آلهتهم والتعصب لها وذكرهم بنعم الله عليهم ورغم ذلك جحدوا بها وهذا هو حال النبي صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش	من قوله تعالى " كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود الا تتقون ...وإن ربك لهو العزيز الرحيم " من الآية 123 إلى 140 من سورة الشعراء	وصورة الإعراض مع عاد قوم هود فكانت حجتهم هذا دين أباءنا ونحن نسير بما كانوا عليهم وما نحن بمعذبين وغرقهم قومهم أخذهم بعذاب شديد وهذه آية لكفار قريش فلا تغريكم قوتكم كما فعل قوم عاد من قبلكم وفي ذلك آية للمؤمنين بنصر الله لهم من عذاب قريش
التمثيل بقصة شعيب عليه	من قوله تعالى "	_كذب قوم شعيب نبيهم	من قوله تعالى	نعت قوم شعيب نبيهم بالسحر رغم

السلام	وإلى مدين أخاهم شعيب ... ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود " من الآية 84 إلى 95 من سورة هود	وقد أمرهم بإصلاح اعتقادهم وأعمالهم ولم يكن غرضه إلا الإصلاح فالتقدير ماذا يسعكم في تكذيبي أو ماذا ينجيكم من عاقبة تكذيبي وهو تحذير لهم من أن يكون صادقا أي فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتمال وأن تتفكروا في ما نهيتكم عنه لتعلموا أنه لصالحكم _وفي قصة قوم شعيب تحذير لمشركي قريش الذين إستهزؤا بنبيهم فالحزم أن يأخذوا باحتمال صدق نبوته وإلا أصابهم ما أصاب قوم شعيب	"كذب أصحب لئيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ... و إن ربك لهو العزيز الرحيم " من الآية 176 إلى 191 من سورة الشعراء	علمهم بحكمته وصدقه وأنه بشر مثلهم لا يزيد عليهم في شيء فلماذا يتبعونه وفي قصة شعيب رد على قريش لاتهامهم النبي بأنه ساحر وتبيين أن القرآن منزه عن السحر

يوضح الجدول أعلاه مشاهد قصص لثلاثة من رسل الله _عليهم السلام_ في سورتي هود والشعراء، و تنوعت فيهما الآيات بتنوع القصص واختلاف الذنوب التي أهلكت الأمم، وقد وردت هذه السلسة من المشاهد تمثيلا، بعد وصف حال النبي (صلى الله عليه وسلم) مع قومه، لتكون أكثر إقناعا وتأثيرا وحجة، على من كذب بنبوته (صلى الله عليه وسلم) ،فالملاحظ أن الصورة المعروضة للواحد من الرسل وكأنها صورة (محمد صلى الله عليه وسلم)، وكأن الحوار القائم وكأن الأحداث البارزة تلم به أو تقع بينه وبين من يدعوهم إلى الدين الجديد من مشركي العرب

وأهل الكتاب، حيث شكلت الأمثلة التاريخية للأنبياء مع أقوامهم دعامة أساسية ومركزية في الحجاج بالتمثيل .

اعتمد الخطاب في سورة هود على الحجاج بالتمثيل، فكانت طبيعة هذه الأمثلة سردية ملائمة لجنس السورة ومنسجمة مع دورها الإقناعي، ذلك أن المثال له القدرة على استحضار الوقائع وتأكيدها في ذهن المتلقي، وبذلك يكون الإقناع والإذعان، شكل تنوع الروابط في السورة بنية حجاجية قوية، حيث ساهم العطف في ربط مجموعة الأمثلة بالواقع المحمدي والتي استحضرت في النص، من خلال التشابه الواقع بينهما، فيقف كل تمثيل كحجة قائمة تحقق الغرض المراد الوصول إليه من خلال حجاج التمثيل. غلب على بنية هذه المشاهد علاقة الاستنتاج، التي تعتبر الأساس في الحجاج التمثيلي، حيث ينتقل من كلية التجارب إلى جزئيات الموقف المشابه، وذلك بنصرة الله لرسوله، كما نصر إخوانه الرسل من قبله وإهلاك الكافرين، عن طريق طرح الأمثلة وهذا هو هدف الحجاج في هذه المشاهد، من خلال توظيف علاقة الاستنتاج للوصول للقضايا المراد إقناع المتلقي بها .

وردت قصص الرسل في سورة الشعراء أيضا كوسيلة للتمثيل، قصد إقناع المتلقي في بنية حجاجية مترابطة مع موضوع السورة، الذي عالج أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث، وردا على من اعتبر القرآن ضربا من الشعر، ولبيان الفرق الهائل بين الإيمان والطغيان ، غلب على مشاهد القصص التكرار، الذي يعد أحد العوامل الحجاجية المهمة، التي كان لها دور في ترسيخ وتعميق الأفكار، التي يريد أن يصل إليها الخطاب القرآني في السورة وهو الإيمان بالله ورسله، وفي كل تكرار تأكيد لعملية الكذب المنظم التي يقوم بها الكفار في كل قصة نبي، وتأكيد للنتيجة الحتمية لمصيرهم وهو العذاب .

فالتمثيل آلية حجاجية لها فعالية في تنوع مشاهد القصص القرآني، وذلك بتعدد الأمثلة الواردة في سياقها، والتي تعد حججا في حد ذاتها، إضافة إلى تعدد الروابط والعوامل الحجاجية لتزيد بذلك من قوة التأثير في المتلقي واقتناعه .

خـــــــــــاتمة

نكون وصلنا بفضل وعونه إلى ختام بحثنا حول أثر الحجاج في تنوع مشاهد القصص القرآن، من خلال دراستنا لآلية الحجاج لاستدراج والمناظرة والتمثيل، ومن أهم النتائج المتوصل إليها الآتي :

– يعد الحجاج في الخطاب القرآني عنصرا مهما، حيث يشتمل على جملة من الآليات والعلاقات التي تجعل الخطاب القرآني منسجما، وتوجهه وجهة قوية لاستمالة المتلقين وإقناعهم والتأثير فيهم.

– تعدد الآليات الحجاجية أسهم في تعدد سياقات عرض مشاهد القصص القرآني وتنوعها، طبقا لتنوع المتلقين ومستو ت إدراكهم، وهذا ما تبين من خلال النماذج الحجاجية التي اختلفت ختلاف الوضعيات التواصلية.

– الحجاج لاستدراج آلية وظفها الخطاب القرآني لاستدراج العقل، والوصول به إلى معرفة الحقيقة وإدراكها، وقد تجلى ذلك في مشاهد قصص النبي إبراهيم مع قومه ،حيث استعمل أسلوب الاستدراج من أجل إحداث التواصل والتحاور مع قومه، ليبطل اعتقادهم في شركهم لله عز وجل.

– آلية الاستدراج جعلت من مشاهد النبي إبراهيم يتنوع وتنماز بعضها عن بعض، إذ اعتمدت أساليب متنوعة ،تمثلت في الاستدراج لسؤال والاستدراج لمناظرة والاستدراج لتمثيل.

– المناظرة آلية عملية تقوم على مجموعة من الأركان، أهمها المتناظران والموضوع وهي عملية أخلاقية لها ضوابط وشروط وآداب.

– المناظرة آلية حجاجية فعالة في إيصال رسالة المخاطب إلى المتلقي نستمد منها آليات الحوار، تهدف إلى إظهار الحق وبيانه ولاسيما أنها مستمدة من القرآن الكريم ، وتعد عاملا أساسيا في

جعل الخطاب القرآني يحقق فاعليته الإقناعية، عتبار أن الحجج المشكلة منها المناظرة تحمل في ذاتها طاقة حجاجية ظاهرية وضمنية.

– رسمت المناظرة في مشاهد قصص موسى عليه السلام مع فرعون صراعا بين الحق والباطل، في بنية حجاجية وقعت ضمن نموذج قائم على مجموعة من الوسائل، ساهمت في تعدد مشاهد القصة أهمها الحوار والجدل.

– يعد القصص القرآني من أنماط التمثيل، وهو إستراتيجية تواصلية فعالة لبلوغ الغاية القصوى من حجاجية التمثيل وإقناع المتلقي، ويتجلى ذلك من خلال قصص الرسل التي جاءت لإقناع المعاندين المكذبين بوحدانية و كيدا للمؤمنين بنصر .

– ارتكاز الحجاج لتمثيل في تنوع القصص القرآني،على قوة الروابط الحجاجية بين مجالي المصدر والهدف، وهذا ما نلمسه من خلال ربط قصص الرسل لواقع المحمدي .

التوصيات: نوصي من خلال هذا البحث ب:

–لاتساع في رقعة البحث في مجال الدراسات القرآنية وارتباطها لدراسات اللسانية فيما تعلق لجانب اللغوي منها وذلك أن القران الكريم نزل بلغة العرب وميدان خصب واسع.

–الاقتداء سلوب المحاججة في القران الكريم للوصول إلى الحق وطريق الصواب لقوله تعالى:"وادع إلى سبيل ربك لحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم إلا لتي هي أحسن".سورة النحل125.

ويبقى البحث في مجال الحجاج وارتباطه لقرآن الكريم ميدا خصبا واسعا، هذا ما تيسر لنا إيراده وإعداده ولله الحمد والمنة فإن أصبنا فمن وحده وإن أخطأ فمن أنفسنا الضعيفة والشيطان.

الفهـــــــارس

1. فهرس المصادر والمراجـــع
2. فهرس المحتويـــــات

القران الكريم

ابن الأثير(ضياء الدين)

1-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح :أحمد الحوفي بدوي طبانة ، القسم الثاني ، دار النهضة، القاهرة ، 1937 م.

الألوسي(شهاب الدين)

2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت_لبنان ، ط 1 ، 1401 ه.

أمين(احمد)

3- ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،(د.ط)، 2003م،ج2.

الأندلسي(محمد عبد الحق بن عطية)

4-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار ابن حزم ، (د.ط)،(د.ت).

انيس(ابراهيم)

5- المعجم الوسيط ، مطابع الأوقست ، القاهرة ، ط3 ، 1405 ه ، 1985م.

الباجي(ابو الوليد)

6- المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، (د.ط)،(دت).

البغوي(الحسين بن مسعود)

7- أبو محمد معالم التنزيل في تفسير القرآن،تح: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت_لبنان ، ط1 ، 1420 ه ج3.

البيومي(ابراهيم غانم)

8- الأمثال في القرآن الكريم ، .www.ida2at.com، تاريخ النشر: 2021/05/17، تاريخ التصفح:2022/05/21.

التهاوي(محمد علي)

9- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، بيروت_لبنان ، 1996.

ابن تيمية

10- درء تعارض العقل و النقل ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، إدارة الثقافة ، الرياض، 1411 ه ، 1991 م.

الجرجاني(علي بن محمد بن علي)

11- التعريفات،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2 ، 2003م .

الجرجاني(عبد القاهر)

12- أسرار البلاغة ، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، سوريا ، لبنان ، ط1 ،2007 ، ص88.

13- دلائل الإعجاز ، تح: محمود محمد شاكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان ، 1995 م.

جريشة(علي)

14- أدب الحوار والمناظرة ، دار الوفاء المنصورة ، ط1 ، 1410ه _ 1989 م.

الجوهري(اسماعيل بن حماد)

15- الصحاح ، تح: أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت_لبنان، ط 4 ، 1407 ه ، 1987 م.

الحراز(محمد بن عبد الرحمن)

16- الاستدراج المفهوم والأثر ، مجلة كلية الآداب واللغة العربية بالزقازيق ، 2015 م ، العدد 35 .

ابن حنبل(الامام احمد)

17- المسند ، دار صادر، بيروت_لبنان.

حنبكة(عبد الرحمان المداني)

18- ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة ، ، دار العلم ، دمشق،ط4.

الخفاجي(شهاب الدين)

19- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، دار صادر ، بيروت_لبنان.

دمان ذبيح(اماني) عكاشة(عائشة)

20- حجاجية القياس التمثيلي في الخطاب النبوي ، نماذج مختارة من كتاب صحيح البخاري ، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي ، تخصص

لسانيات عرية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي_ 2019 م.

عبد الرحمن(طه)

21- في أصول الحوار وتجديد الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء_المغرب، ط 4 ، 2015 م.

رهوني(امنة)

22- الحجاج في قصة موسى عليه السلام ، سورة طه أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات والعلوم الإجتماعية ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي- .

الزبيدي(محمد مرتضى)

23- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: عبد العليم الطحاوي ، مطبعة الكويت، الكويت ، المجلد الثالث ، ط1.

الزمخشري(ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد)

24- الكشاف ، تح: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،ج 2.

ابو السعود(بن محمد العمادي الحنفي)

25- تفسير أبي السعود،تح:عبد القادر احمد عطا، مكتبة الحديث ،الرياض،(د.ط)،(د.ت)،ج3.

السمنرقندي(نصر الدين بن محمد بن احمد)

26- تفسير السمرقندي ،تح : محمود مطرجي، دار الفكر ، بيروت_لبنان.

سندي(ابراهيم عبد الكريم)

27- الحوار والمناظرة في الإسلام ، أحمد ديدات نموذجا في العصر العصر الحديث ، مجلة جامعة أم القرى ، علوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، عدد 46 ، محرم 1430 ه.

الشعراوي(محمد متولي)

28- قصص الأنبياء ، تح: منشاوي غانم جبر ، دار الكتب العلمية ، ج3.

الشنقيطي(محمد الامين)

29- آداب البحث و المناظرة ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، (د.ط)،(د.ت).

صولة(عبدالله)

30- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، ط 2 ، بيروت_لبنان ، 2007م.

بن عاشور(محمد الطاهر)

31- التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت_لبنان ، ج1 ، ط1، 2000م .

عبيد (حياة)

32- المناظرة في القرآن الكريم بين الإبلاغ و الإمتاع ، مناظرة إبراهيم للنمرود في القرآن الكريم أنموذجا ، مجلة مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي ، مجلد 2 ، عدد 1 ، جوان 2016 م.

العثيمين(محمد الصالح)

33- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار ابن الجوزي ، السعودي، ط6 ، مجلد 1 ، 1461 ه .

عكاوي(إنعام فوال)

34- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط2 ، 1996م

علوي(حافظ اسماعيلي)

35- الحجاج مفهومه و مجالاته ، عالم الكتب الحديث ، إربد_الأردن ، 2010 م، ج 2.

ابن فارس(ابي الحسن احمد)

36- مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ،المجلد الخامس ، ط1 ، دار الجيل ،بيروت-لبنان.

الفخاري(مختار)

37- الفكر العربي الإسلامي ، عالم الكتب الحديث ، تونس،ط1 ، 2008 م.

فراج(خالد خميس)

38- المناظرة ،مقال منشور على الشبكة العنكبوتية ، تاريخ التصفح : 2022/06/08.

الفراهيدي(الخليل بن احمد)

39- العين ، تح : د. مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، ط 2 ، 1409 ه.

فصيح(مقران) درغوم (عبد الناصر)

40- الحجاج بالتمثيل في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجا ، المدونة ، المجلد 7 ، العدد 2 ، ديسمبر 2020.

فضل الله(محمد حسين)

41- الحوار في القرآن قواعده وأساليبه و معطياته ، دار المنصوري للنشر ، الجزائر دط ، دت ، ج1.

القارطاجي(حازم)

42- منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت_لبنان ، 1986.

القاري(علي)

43- مرقاة المفاتيح مشكاة المصابيح ، دار الفكر ، بيروت-لبنان ، ط 1 ، 1422 ه، 2007 م.

القزويني(أبو العلاء جلال الدين الخطيب)

44- الإيضاح في علوم البلاغة ، راجعه : عماد بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت_لبنان ، ط3 .

القطان(مناع)

45- مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،ط2، 2000 م .

الكفوي(أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)

46- الكليات ، تح: عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت_لبنان ، 1998 م.

مجمع اللغة العربية

47- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، الشروق الدولية ، ط 4 ، 1425 ه ، 2004 م

مصدق(محمد الامين)

48- آليات الحجاج في مناظرات الشيخ أحمد ديدات ، ليلى سهل ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب واللغة العربية تخصص لسانيات عربية ، جامعة محمد خيضر – بسكرة- قسم الأدب واللغة العربية ، 1440 ه -2019 م.

مصطفى(احمد امين)

49- المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار النمر ، دط، 1914 م.

ابن معصوم(صدر الدين)

50- أنوار الربيع في أنواع البديع، دار المعرفة ، بيروت_لبنان ، 1411 ه.

ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)

51- لسان العرب ، أدب الحوزة ،قم _إيران ، 1405ه.

الهاشمي(احمد)

52- جواهر في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، المكتبة التجارية الكبرى ، 1969 م.

اليمني(يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي)

53- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، المكتبة العنصرية ، بيروت_لبنان ، ط 1 ، 1423 ه.

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ–
الفصل الأول:الحجاج بالاستدراج	19–5
المبحث الأول : في مفهوم الاستدراج	9–5
1 _ لغة	5
2 _اصطلاحا	7
المبحث الثاني : الاستدراج مرادفاته و بلاغته	12–10
1 _ مرادفات الاستدراج	10
2 – بلاغة الاستدراج	11
المبحث الثالث : أثر الاستدراج في تنوع مشاهد القصص القرآني قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجا	19–13
الفصـــــل الثاني:الحجاج بالمناظرة	21–
المبحث الأول: في مفهوم المناظرة	28–21
1 _ لغة	21
2 _اصطلاحا	22
3 _ الفرق بين الجدل والحوار والمناظرة	23

1 _ الجدل	23
2 _ الحوار	23
4 _ أركان المناظرة	23
5 _ شروط المناظرة	26
6 – فوائد المناظرة	28
المبحث الثاني:نشأة المناظرة وتطورها وأهميتها	30–29
1 _ نشأة المناظرة و تطورها	29
2 _ أهمية المناظرة	30
المبحث الثالث : أثر الحجاج في تنوع مشاهد القصص القرآني "مناظرة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون أنموذجا"	41–32
1 _أركان مناظرة موسى عليه السلام وفرعون	33
2 –تحليل أحداث المناظرة	34
الفصـــــــــل الثالث: الحجاج بالــتمثيل	52–43
المبحث الأول : في مفهوم الحجاج بالتمثيل	47–43
1 – مفهوم التمثيل	43
2 _ العلاقة بين التمثيل و التشبيه	45
3 _ العلاقة بين التمثيل والتصوير	45
4 _ حجاجية التمثيل	46
5 _ أهمية التمثيل	47
المبحث الثاني : التمثيل آلية حجاجية في تعددالقصص القرآني	52–48

الخاتمة	53
قائمة المصادر و المراجع	56
فهرس الموضوعات	65
الملخص	

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان فاعلية الخطاب الحجاجي في تعدد مشاهد القصص القرآني ؛ حيث إن الحجاج إستراتيجية لغوية تسعى إلى إقناع المتلقي والتأثير عليه لتغيير معتقد أو سلوك ،والخطاب القرآني خطاب حجاجي يحاور الآخر ويراعي مستويات الإدراك لدى المتلقي وينقل تصوراته ومدركاته ،ومن أجل تحقيق غاية الدراسة تم اختيار آلية الحجاج الاستدراج والمناظرة والتمثيل لإبراز الجانب الحجاجي في القصص القرآني وفاعليته في تعددها من خلال وضع منهج تطبيقي متمثل في تحليل الخطاب الحجاجي في المشاهد القصصية ثم البحث فيها ومقارنتها لمعرفة اثر كل آلية من الآليات الحجاجية المعتمدة في التأثير على المتلقي وتعدد مشاهد القصة الواحدة .

Abstract:

The aim of this study is to show the effectiveness of the argumentative discourse in the multiplicity of scenes of Qur'anic stories: As pilgrims is a linguistic strategy that seeks to convince the recipient and influence him to change his belief or behavior, and the Qur'anic discourse is a pilgrims discourse that neighbors the other and takes into account the recipient's levels of perception and conveys his perceptions and perceptions. And its effectiveness in its multiplicity through the development of an applied approach represented in analyzing the argumentative discourse in the naming scenes, then researching it and its approach to knowing kicking is one of the argumentative mechanisms adopted in influencing the recipient andthe multiplicity of the problems of one story.